alexandra.ahlamontada.com

منتدى مكتبة الإسكندرية

صراع الحضارات و الحرب العالمية الرابعة

د. محمد مورو

صراع الحضارات
والحرب العالمية الرابعة

alexandra.ahlamontada.com
منتدى مكتبة الأسكندرية

المؤلف

د. محمد مورو

صراع الحضارات
والحرب العالمية الرابعة

المؤلف

د. محمد مورو

فهرس الكتاب

صفحة	الموضوع
	الفصل الأول: الحرب العالمية الرابعة.
	الفصل الثاني: أمريكا تطلب العالم لبيت الطاعة.
	الفصل الثالث: الأصولية قلب الحزب الجمهوري وحرب بوش الصليبية.
	الفصل الرابع: حرب على الجمعيات الخيرية
	الفصل الخامس: أمريكا استراتيجية واحدة وتكتيك مختلف
	الفصل السادس: الجريمة
	الفصل السابع: الحرب على حماس
	الفصل الثامن: اغتيال الشيخ ياسين
	الفصل التاسع: نهاية الوهم بداية النصر
	الفصل العاشر: العزاء الأخير
	الفصل الحادي عشر: انحطاط حضارة
	الفصل الثاني عشر: إسرائيل طليعة استعمارية
	الفصل الثالث عشر: التشكيك في المقاومة
	الفصل الرابع عشر: الفالوجة تكتب المستقبل
	الفصل الخامس عشر: الحركة الإسلامية أولويات استراتيجية وتكتيكية
	الفصل السادس عشر: العداء للسامية الأصل والصورة
	الفصل السابع عشر: زوال إسرائيل نبوءة قرآنية وحتمية

صفحة	الموضوع
	تاريخية
	الفصل الثامن عشر: الصراع على المياه في الشرق الأوسط
	الفصل التاسع عشر: مستقبل الحركة الإسلامية في مصر
	الفصل العشرون: الطريق الثالث بين الأجندة الأمريكية والأجندات الحكومية
	الفصل الواحد والعشرون: لماذا تفشل مشروعات الإصلاح
	الفصل الثاني والعشرون: مستقبل الاحتلال الأمريكي للعراق
	الفصل الثالث والعشرون: الشرق الأوسط الكبير
	الفصل الرابع والعشرون: منافستو المقاومة
	الفهـــــــــــــرس

الحرب العالمية الرابعة

(١)

الحرب العالمية الرابعة:

اعتبر البروفيسور"إليوت كوهين" أن الحرب البادرة ضد الشيوعية كانت الحرب العالمية الثالثة، وأن أمريكا والغرب الرأسمالي قد حقق فيها انتصارًا ساحقًا، وهو ما عبر عنه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه المعنون"نصر بلا حرب" وحسب البروفيسور إليوت كوهين أيضًا؛ فإن أمريكا تعتبر نفسها الآن تخوض الحرب العالمية الرابعة ضد العالم الإسلامي تحت اسم مواجهة الإرهاب الإسلامي، وفي الحقيقة فإن الوجدان الغربي الصليبي كان ولا يزال قويًا، وهذا الوجدان الصليبي العميق في تلافيف العقل الغربي وجد الآن من يستغله متمثلاً في عصابة اليمين الأمريكي الجديد التي ركبت إدارة جورج بوش الابن واستغلت أحداث ١١ سبتمبر لنشر أفكارها وتنفيذها حول السيطرة على العالم، ومفاهيم الإمبراطورية الأمريكية الجديدة؛ وهي مفاهيم وأفكار سابقة بالطبع على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث إن فكرة اعتبار العالم الإسلامي خطرًا على الحضارة الغربية فكرة سابقة على أحداث ١١ سبتمبر، وهي فكرة تقليدية في الوجدان الغربي أولاً، وتصاعدت بقوة

في الثمانينات والتسعينيات من القرن الماضي بمناسبة سقوط الخطر الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفيتي السابق والمنظومة الاشتراكية الدولية، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة تنتقل من الحرب العالمية الثالثة إلى الحرب العالمية الرابعة.

الحرب على الإسلام:

وقد عبر عن ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق"ريتشارد نيكسون" في كتابه (الفرصة السانحة)؛ حيث اعتبر أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية خطيرة وأنه مع التزايد السكاني والإمكانيات المادية سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة، وأن الغرب سوف يتحد مع الاتحاد السوفيتي ليواجه هذا الخطر – كان ذلك قبل تفكك الاتحاد السوفيتي –.

ويقول إدوارد سعيد المفكر الفلسطيني:"إن هناك قوى في أمريكا والغرب نجحت في نشر صورة سلبية عن الإسلام باعتباره خطرًا على الحضارة الغربية"، وقد كتب إدوارد سعيد هذا الكلام عام ١٩٨١ ومن ذلك أن هناك قوى يُهيئ الرأي العام الغربي منذ فترة طويلة لقبول الحرب العالمية الرابعة ضد الإسلام، وعند سقوط الاتحاد السوفيتي السابق بررت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة

استمرار وتقوية حلف الناتو بوجود الخطر الإسلامي، وهو نفس ما عبّر عنه رئيس مجلس الوزراء الأوروبي الأسبق" جياتى ديميلكس"قائلاً لمراسل مجلة النيوزويك الأمريكية عندما سأله عن السبب في بقاء حلف الأطلنطي بعد نهاية المعسكر الشيوعي:"صحيح أن المواجهة مع المعسكر الشيوعي قد انتهت، ولكن هناك مواجهة أخرى لابد أن نستعد لها وهي مواجهة العالم العربي والإسلامي، وعلى أوروبا أن تحلَّ مشكلاتها لتتفرغ لهذا العدو الخطير".

والحقيقة التي لا مراء فيها حتى بصرف النظر عن تصريحات هؤلاء الزعماء والقادة الغربيين وغيرهم وهي كثيرة جدًا بطريقة لا يكاد يعيها الإنسان وربما لا يصدقها من شدة تطرفها وصليبيتها وعنصريتها وغطرستها. الحقيقة التي لا مراء فيها أن الصراع بين الإسلام والغرب امتد في الزمان وفي المكان من غزوة تبوك وحتى العدوان على العراق مرورًا بحروب الأندلس والحروب الصليبية والاستعمار والصهيونية.. الخ، وأن القرآن الكريم قد عبّر عن ذلك وهو الصدق المطلق (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (البقرة: ٢١٧) الخوف من

الإسلام والحرب على الإسلام لها أسبابها التاريخية والوجدانية والمصلحية في الوجدان الغربي وإذا كنا ندرك أن عصابة اليمين الأمريكي ودعاة الإمبراطورية الأمريكية الذين يحلمون بسيطرة أمريكا على العالم قد أعدوا الخطط لذلك من قبل عام ١٩٩٧ على الأقل على يد ديك تشينى ودونالد رامسفيلد وبول وولفوديتز وريتشارد بيرل وجيمس ولس ووليام كريستول وروبرت كاجان وغيرهم من الذين وقعوا على ما يسمى"الإعلان الإمبراطوري الأمريكي" عام ١٩٩٧؛ فإن هؤلاء أدركوا أن الطريق إلى تلك الإمبراطورية الأمريكية لن يكون سهلاً ولا متوقعًا إلا إذا تمت إزاحة العقبة الإسلامية المتمثلة في وجود مفاهيم وأفكار إسلامية حول المقاومة والكفاح والجهاد والدفاع عن المستضعفين وعدم قبول الخضوع وغيرها...، وأنه لابد من إزالة ذلك بالحرب والسلام وبالدعاية والإعلام معًا.

صناعة الحروب:

وبالإضافة إلى ذلك فإن المؤسسة شديدة التأثير في السياسة الأمريكية، وهي المجمع الصناعي العسكري الرأسمالي من مصلحة اختراع الحروب لترويج صناعة

السلاح، وكذا فإن التحدي النظري الإسلامي للرأسمالية كفكرة وأيديولوجية أمر أصبح معروفًا في أوساط المفكرين والمنظرين الغربيين؛ حيث من الممكن أن يتحول الإسلام إلى أيديولوجية للفقراء والمستضعفين، ومن الممكن أن يكون الإسلام جذرًا ثقافيًا للثورة العالمية ضد الرأسمالية خاصة بعد إفلاس الشيوعية، وهي كلها اعتبارات ترشح الإسلام كهدف للحرب العالمية الرابعة وهو ما حدث بالفعل.

وقد أحدثت هذه الحرب أشكالاً متنوعة، ومازالت تحمل في طياتها المزيد من الوسائل، وقد تخلت أمريكا والغرب عن أي أخلاق شكلية في إطار هذه الحرب لأنها من وجهة نظرهم حرب، وفي الحرب يسقطون كل الاعتبارات الأخلاقية ولم يعد غريبًا أن نسمع أنباء قتل الأسرى أو إطلاق الرصاص على العزل أو تعذيب المعتقلين.. المهم أن هذه الحرب اشتملت على الوسائل العسكرية المباشرة؛ متمثلة في المزيد من العدوان الصهيوني ومتمثلة من غزو واحتلال أفغانستان ثم غزو واحتلال العراق واستخدام كل وأحدث الوسائل العسكرية الفتاكة في هذا الصدد، كما اشتملت على محاولة ترويض الجمهور الإسلامي بالدعايات الغازية،

محاولة تشويه المفاهيم الإسلامية بما يُسمى بتغيير مفاهيم معينة في القرآن الكريم – وهو أمر مستحيل – أو ما يسمى بتجديد الخطاب الديني، وهو تخريب وتزييف الخطاب الديني، وما يسمى بتغيير مناهج التعليم لدعم ما يسمى بثقافة (السلام) – الصحيح ثقافة (الاستسلام) –، وتقليص المدارس الدينية الشرعية وحصار المؤسسات التربوية والإعلامية الإسلامية وإنشاء قنوات فضائية وصحف تعمل على ترويج النموذج الأمريكي، والإساءة للمقاومة"العراقية والفلسطينية خصوصًا"؛ بل وصل الأمر إلى حد أن تطلب الإدارة الأمريكية إغلاق المساجد الصغيرة والزوايا بدعوى أنها بؤر لتفريخ التطرف، وأن يتم استخراج تصريح – به تعقيدات كبيرة – لإنشاء أي مسجد جديد، وكذا محاربة العمل الخيري الإسلامي واتهام الجمعيات الخيرية الإسلامية باعتبارها الساق التي تربط الأوراق والثمار والفروع بالجذور؛ اتهمت بالإرهاب، ويجب حلها ومصادرة أموالها والإساءة إلى سمعة القائمين عليها أو حتى اعتقالهم وسجنهم وتلفيق القضايا لهم.

وهي كلها أساليب في حرب عالمية رابعة شاملة ضد الإسلام والمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله!

أمريكا تطلب العالم لبيت الطاعة

(٢)

أمريكا تطلب العالم لبيت الطاعة:

إما أن تكون مع الولايات المتحدة الأمريكية فأنت إذن في محور الخير المطلق، أو لا تكون معها – حتى لو أردت أن تكون محايدا – فأنت في محور الشر المطلق، ولا يوجد طريق ثالث.

والحقيقة أن في المسألة نوعًا من الخطأ المقصود أو غير المقصود، فالمسألة لا علاقة لها بظهور مفاهيم جديدة، أو سيادة اليمين الأمريكي، أو ظهور نزعة عنصرية، ولكنه نوع من التطور الطبيعي له أسبابه الموضوعية في البنية الأمريكية منذ نشأتها وطوال تاريخها وممارساتها انتهي لأسباب موضوعية أخرى إلى صعود اليمين الأمريكي، أو ظهور النزعة العنصرية الحالية، والرغبة في الهيمنة على العالم وتقسيم العالم بهذه الطريقة البدائية، وانتهي إلى نشر القوات الأمريكية في معظم أنحاء العالم والسعي للمزيد من نشر تلك القوات واحتلال العراق وإطلاق يد الإرهاب الصهيوني بلا حدود في الموضوع الفلسطيني.

نحن إذن أمام كيان عنصري وإمبريالي وإمبراطوري منذ اللحظة الأولى، لأنه قام أساسًا على فكرة

تفوق الرجل الأبيض، وحقه في السيطرة على أمريكا وإبادة سكانها الأصليين باسم الصليب وباسم التقدم وباسم رسالة الرجل الأبيض!! وهكذا فالعنصرية جزء لا يتجزأ من البنية الأمريكية منذ اللحظة الأولى، ثم الاسترقاق الواسع النطاق للسود الأفريقيين واستخدام سواعدهم في بناء الاقتصاد والرخاء الأمريكي، وأمريكا باعتبارها وارثة القيم الغربية ما انفكت أن أصبحت مثل أوروبا عنصرية – استعمارية، ولأنه كان هناك صراع مستمر، ونوع من توازن القوى، أدى إلى تضامن الدول الأوروبية فيما بينها على النهب والمستعمرات والأسواق، ثم تضامن المنظومتين الرأسمالية والاشتراكية، فإن الفرصة لم تأت أصلا لظهور المفاهيم الإمبراطورية والعنصرية والاستعلائية المباشرة لعدم وجود المناخ الصالح ولا الانفراد لدولة واحدة، اللهم إلا في حالات سبقت ظروفها الموضوعية ففشلت مثل ألمانيا النازية، أو إيطاليا الفاشية.

وعندما انتهي النفوذ الاستعماري لمعظم الدول الأوروبية وسقط هذا النفوذ في الفم الأمريكي، باستخدام وسائل قديمة وجديدة، ثم سقطت المنظومة الاشتراكية وتفكك الاتحاد السوفيتي السابق، أصبحت الولايات المتحدة

الأمريكية هي الدولة الوحيدة المنفردة بالقوة في العالم، فهي الأقوى عسكريًا، الأغنى اقتصاديًا، المهيمنة إعلاميًا، ومع التطور الهائل في وسائل القوة والمواصلات كان من الطبيعي أن تتطور السياسات والمفاهيم بحكم الصيرورة الطبيعية إلى المفاهيم الإمبراطورية، ومحاولات غزو العالم الذي بدأ منذ حرب الخليج الثانية، ثم غزو أفغانستان ثم العراق.. وهكذا. فالمسألة لا علاقة لها إذن بصعود نوع من القوى السياسية في أمريكا، بل إن الظروف الموضوعية هي التي أفرزت صعود تلك القوى والسماح لها بممارسة برنامجها الإمبراطوري، ولأن الولايات المتحدة الأمريكية دولة مؤسسات، فإنه حتى ولو كان الرئيس غير الرئيس والإدارة غير الإدارة، فإن الأمر لم يكن ليختلف كثيرًا. ولعل هذا في حد ذاته رد على هؤلاء الذين يقولون: إن أمريكا تغيرت، أو تنكرت لمبادئ المؤسسين والآباء الكبار حين تمارس التمييز ضد العرب والمسلمين، أو تعاملهم بهذه الطريقة في المطارات والموانئ، أو تقول ما تقول تبريرا لعدوانها المستمر على أكثر من دولة في العالم، والصحيح أن أمريكا هي أمريكا كما هي في حقيقتها، وهذه هي الصورة

الطبيعية والمتوقعة لها في إطار تركيبتها مع إدراك الظروف الموضوعية.

وإذا كان ذلك كذلك، فعلينا أن نبحث في التوصيفات المختلفة التي تصف الحالة الأمريكية، وإحدى هذه التوصيفات تقول: إن أمريكا تعيد عصر الإمبراطورية الرومانية، وهذا صحيح إلى حد كبير، فالإمبراطورية الرومانية حققت نوعًا من العولمة أو السيادة المطلقة على العالم القديم، لصالح وحساب الرومان فقط، وكان سكان الإمبراطورية ينقسمون إلى سادة رومان وعبيدهم باقي السكان، ولغة التفاهم الوحيدة بين الطرفين هي الطاعة المطلقة، أو العصا الغليظة، وهو نفس الأمر فيما يخص أمريكا، وكذلك فإن العالم القديم كان يعيش في ظل ما يسمى بالسلام الروماني وهو ما تريد أمريكا أن تفعله، بمعنى دخول الجميع في السلام الأمريكي، وهو طبعًا كما كان السلام الروماني نوع من الخضوع الكامل للقوة الأمريكية ونمط الحياة الأمريكية وما تقرره أمريكا من إسقاط هذا النظام أو هذا الرئيس أو تجميد أموال تلك الهيئة أو غزو ذلك البلد، أو تحديد الطيب من الشرير!! والمشكلة أو الفارق النوعي هنا

بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الأمريكية، أن الأخيرة تمتلك أدوات قوة عسكرية واقتصادية ومواصلاتية أعلى بكثير جدا مما امتلكته الأولى، وهذا يعنى أن الخضوع سيكون أكثر قسوة، ولكن في نفس الوقت فإن الإمبراطورية الرومانية كانت تواجه شعوبا وأمما في طور التكوين ولم تكن شخصيتها الحضارية قد تبلورت بعد، وهذا سهل لها مهمة الإخضاع، وهو هنا على العكس، فإن الأمريكان يواجهون أممًا وحضارات وثقافات مكتملة التكوين ولن يكون خضوعها سهلا، ولعل هذا بالتحديد مما يجعل الولايات المتحدة تسابق الزمن لضرب الحضارة العربية الإسلامية في القلب واحتلال قلبها بقسوة وكثافة، وكذا محاولات احتواء الصين وروسيا والهند، والسيطرة على البترول للتحكم في الاقتصاد الأوروبي والياباني، أي منع تلك الحضارات والقوى من الاستمرار وتقزيمها أو قتلها إن أمكن!

من المفيد هنا أن نتأمل الورقة الأمريكية أو التقرير الذي أطلق عليه البعض مذهب بوش وهو تعبير حقيقي وواضح عن كل ما سبق، والوثيقة أو الاستراتيجية الأمنية الجديدة أو استراتيجية الحرب الوقائية أو سياسات الردع

والاحتواء، والتي أصدرها البيت الأبيض، وكتب مقدمة لها الرئيس بوش بنفسه، وساهم في صياغتها كبار العقول الاستراتيجية الأمريكية، هذه الوثيقة تتضمن عدة مبادئ خطيرة، منها ضرورة العمل الوقائي ضد أي خطر على أمريكا، حقيقي أو محتمل، وأنه لم يعد بوسع الولايات المتحدة الانتظار كما كانت تفعل في السابق، لا نستطيع السماح لأعدائنا بتسديد الضربة الأولى لنا، وأن ذلك يعنى أن علينا أن نبادر بضرب أي خطر محتمل حتى لو بدأت الجهات الدولية الأخرى بما فيها الأمم المتحدة معارضتها، وكتب بوش أيضًا في مذهبه الجديد من المسلم به وكإجراء دفاعي عن النفس فإن الأمريكيين سيتخذون إجراءات ضد تلك التهديدات المتنامية قبل أن تستكمل هذه الجهات بناء قوتها، وأنها لن تتردد في التصرف منفردة سوف تمارس حق الدفاع عن النفس بإجراء مسبق!!.. ووعد بوش بإجراء تغييرات هيكلية في القوات المسلحة الأمريكية ليتسنى لها شن الحرب النبيلة المقدسة على الإرهاب والخطر المحتمل في كل مكان أسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط. وهكذا فنحن أما استراتيجية جديدة سوف

تشكل تصرفات الولايات المتحدة لعقود مقبلة، تقضى بأن أمريكا وحدها تحدد من هو الخطر عليها، الحقيقي أو المحتمل ومن حقها أن تضربه قبل أن يصبح خطرًا، وهو مبدأ إمبراطوري خطير يجعل تدخل الولايات المتحدة في أي مكان لا يحتاج إلى أن تقرر الولايات المتحدة ذلك فقط لا غير، وكذلك إصرار الوثيقة على أن الولايات المتحدة ستتصرف منفردة حتى لو عارضت ذلك الهيئات والجهات الدولية بما فيها الأمم المتحدة، بمعنى إما أن تصبح الأمم المتحدة بوقًا وذيلاً، وإما فلا حاجة لها، وهذا معناه أن أمريكا أعطت لنفسها الحق في تحديد الخطأ والصواب، المشروع وغير المشروع، وأعطت نفسها الحق في تنفيذ ما تراه ملائمًا، ومعناه أن العالم كله مطلوب لبيت الطاعة الأمريكي. الوثيقة التي جاءت في ٣٥ صفحة ومقدمة كتبها الرئيس بوش بنفسه أو بمعنى أصح وقعها باسمه، حددت العدو في أنه الإرهاب ومن يحمى أو يؤوى أو لا يقاوم الإرهاب، وهذا معناه كل العالم تقريبًا، لأن الإرهاب يمكن أن يوجد حسب المفهوم الأمريكي في كل من يعارض سياسة الولايات المتحدة أو يناهض الصهيونية مثلاً، والتعريفات بالطبع

مطاطة، واليوم على قائمة الإرهاب عشرات المنظمات وآلاف الأشخاص وغدًا المزيد وهكذا، وهي تهمة مطاطة طبعا تبرر العدوان اليوم مثلا على العراق وسوريا ولبنان والسعودية وإيران وباكستان واليمن والسودان وغيرها، فكل هذه الدول بها إرهابيون، وغدًا مصر والجزائر والمغرب وتونس وجنوب أفريقيا وفنزويلا وإندونيسيا وهلم جرًّا!!

وإذا كان الإرهاب وحده لا يكفي فإن الوثيقة حددت دورًا أمريكيًا في نشر القيم الحضارية – الحرية وحقوق الإنسان – في العالم ومناهضة الديكتاتوريات والتمييز الديني وغيرها، وهو نفس مضمون رسالة الرجل الأبيض الذي برر بها الأوروبيون استعمار آسيا وإفريقيا وتنظيم المذابح والتدمير والوحشية والنهب وتقطيع الأوصال، وهو نفس الأمر المتوقع على يد السيد الأمريكي حامل شعلة الحرية، والحرية منه براء.

الوثيقة تشير بوضوح إلينا، كعرب ومسلمين، كأول هدف، ولكنها لا تنسى الصين – التي حسب الوثيقة تهدد جيرانها في آسيا والمحيط الهادي من خلال تطوير قدراتها العسكرية المتقدمة، وأنه على أمريكا أن تسعى للحد من ذلك،

وهو أمر يمكن القياس عليه، بأنه غير مسموح لأي دولة في العالم أن تبلغ مبلغا معينًا من القوة العسكرية أو الاقتصادية وإلا ستتعرض لتدخل الولايات المتحدة التي سوف ترى في ذلك تهديدًا للجيران يجب وقفه!!

الوثيقة بالطبع، تدعو إلى المزيد من فتح الأسواق، وحرية التجارة والانفتاح الثقافي، وهي كلها تعبر عن حقيقة السماح لأمريكا بأكبر قدر من النهب وتدمير البنية الثقافية للحضارات والشعوب الأخرى.

الوثيقة واضحة لمن أراد أن يعرف إلى أين يسير العالم وماذا ستفعل أمريكا به اليوم أو غدًا أو بعد غد.

فإما أن تكون عبدًا لأمريكا وإما أن تستحق الموت أو العقاب... وعليك أن تختار!!

الأصولية
قلب الحزب الجمهوري
وحرب بوش الصليبية

(٣)

الأصولية قلب الحزب الجمهوري
وحرب بوش الصليبية

عندما يستخدم الرئيس الأمريكي جورج بوش عبارات من أمثال حرب صليبية – محور الخير والشر، الحرب التي يؤيدها الرب أو غيرها من العبارات فإنه لا يكشف فقط عن عنصريته وسطحيته، ولكنه يمارس نوعًا من الدجل والمراوغة، ذلك أنه يحاول استخدام المسيحية والعبارات المقتبسة من الإنجيل لتبرير عدوان بربري وحرب همجية ستودي بحياة عدد هائل من البشر بلا مبرر حقيقي.

الحقيقة فإن كلمة الصليبية منذ استخدامها على يد قادة الحملات الصليبية الأولى ١٠٩٦ – ١٢٩٥ جسدت ولا تزال هذا النوع من الدجل، فالصليبية هي المسيحية الغربية المزيفة، والمسيحية الغربية والشرقية وكل مسيحية حقيقية براء منها، وهكذا فنحن أمام مصطلح يسئ إلى المسيحية ويجسد روح العنصرية الغربية وهو محمل بإيماءات تاريخية ومعاصرة سيئة بالضرورة والتعامل مع هذه الصليبية الجديدة، لا يكون بتجاهل المصطلح كما يفعل البعض والقفز عليه ولكن بإدراكه أولاً ووزنه ثانيًا ومواجهته ثالثًا وفي

الحقيقة فإن التبرير المسيحي – والصحيح الصليبي – الذي يستخدمه جورج بوش قد أصبح حقيقة لا ينكرها أحد، ورصدتها أبحاث ودراسات وكتب ومجلات وصحف في أمريكا وخارجها، وإذا كانت مجلة دير شبيجل الألمانية قد استخدمت مصطلح أو عبارة حرب جورج بوش الصليبية فإن مجلة نيوزويك الأمريكية نشرت موضوعًا عن نفس القضية تحت عنوان بوش والرب وقد قام الكاتب كارين يوريش بتحليل مضمون عدد من خطب الرئيس بوش وتوقف أمام الجمل التي تتحدث عن الإيمان المسيحي الذي يغطى به جورج بوش جرائمه، وهي تكشف في نفس الوقت عن الخلفية العقائدية – الحقيقية أو المزيفة – التي تشكل البنيان التحتي لثقافة وأخلاق وتصورات جورج بوش والتي تؤثر بصورة أو أخرى في سلوكه السياسي. ففي خطاب القسم الذي ألقاه في ٢٠٠١/١/٢١، قال بوش بوسع ملاك أن يركب الزوبعة وأن يوجه هذه العاصفة وهي جملة مقتبسة من كتاب أيوب وحزقيال، وفي خطابه إلى الكونغرس ٢٠٠١/٩/٢٠ قال لطالما كانت الحرية والخوف والعدالة والوحشية في حرب ونعلم أن الرب ليس على الحياد بينها،

وفي حفل تخريج دفعة عسكرية في ٢٠٠١/٦/١ في أكاديمية ويست بيونت العسكرية قال نحن في صراع بين الخير والشر وستسمى أمريكا الشر باسمه، وقد استنتج كاتب المقال كارين يوريش من ذلك إلى أن تلميحات بوش عن الخير والشر التي تزداد باستمرار هو نوع من التأثر بما ورد في الكتب المقدسة.

وفي خطاب الأمة ٢٠٠٣/١/٢٩ قال جورج بوش الحرية التي نناضل من أجلها ليست هدية أمريكا إلى العالم، بل هي هدية الرب إلى البشرية وهي مأخوذة من إنجيل يوحنا، وفي تعليقه على انفجار المركبة الفضائية كولومبيا ٢٠٠٣/٢/١ قال لم يعد طاقم المركبة كولومبيا إلى الأرض بسم، ولكن بوسعنا أن نحمد الله على أنهم رحلوا جميعًا بسلام إلى بيتهم.

وهي عبارة تستخدم في الجنازات المسيحية. وترصد مجلة نيوزويك كذلك مداومة الرئيس بوش على قراءة عظات إنجيلية قصيرة فجر كل يوم، أي أنه يبدأ بها يومه المبكر، ويحرص على النوم مبكرًا لتحقيق هذه العادة اليومية، والعظات الإنجيلية مكتوبة بقلم مبشر مسيحي عسكري، وهو

أوزوالد شيمبرز الذي صاحب الجنود الاستراليين والنيوزيلنديين الذين ذهبوا إلى فلسطين عام ١٩١٧ لانتزاعها من يد الأتراك، وهو ما يريد أن يفعله بوش بالعراق مثلا وفيما يستمر الحوار والجدال في أمريكا والعالم والأمم المتحدة عن العدوان الأمريكي على العراق أن الإرهابيين يكرهون حقيقة أن نعبد الرب العظيم، بالطريقة التي نراها مناسبة، وأن الولايات المتحدة الأمريكية مدعوة إلى إيصال هدية الحرية التي منحها الرب لكل إنسان على وجه المعمورة، وقال أيضًا أنه خلف كل حياة كل تاريخ يكمن هدف حددته يد إله عادل وأمين وإن صح ذلك فلا مجال لأن تفشل أمريكا، ويرى جورج بوش أنه لم يكن ليصبح رئيسًا لأمريكا لولا الرب.

ويصف أحد الذين يحضرون التقاء بوش بالمرشدين الروحيين وهو أمر يتكرر كثيرًا داخل البيت الأبيض – تشارلز ستروبل – لا أتصور المسيح يدعو حشدًا يهتف له إلى الحرب كما فعل الرئيس بوش.

وكانت علاقة جورج بوش الابن برجال الدين المسيحيين البروتستانت من هؤلاء الذين يتسمون بالتشدد

ويعكسون تعصبا ضد الأديان الأخرى واهتمامًا بالنبوءات التي جاءت في التوراة العهد القديم عن أحداث نهاية العالم مما يسمى بالأصولية المسيحية قد توطدت خلال مشاركته في حملة والده الرئاسية عام ١٩٨٨، وقد كان هؤلاء يشكلون في ذلك الوقت الحركة الإنجيلية المتصاعدة والمتدخلة في الشئون السياسية، ثم أصبحوا فيما بعد قلب الحزب الجمهوري الذين أصبحوا الأكثر دعمًا لجورج بوش الابن، وقد لعب المبشر الواعد بيل جراهام دورًا هامًا في انطلاق جورج بوش، وحينما استعد جورج بوش لترشيح نفسه عام ١٩٩٩ جمع جورج بوش كبار القساوسة في قصره لينال بركتهم وأخبرهم أن الرب دعاه لينشد منصبًا أرفع، وعندما وصل الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى البيت الأبيض أصبحت الأجواء المهيمنة على مقر الرئاسة تتسم بجو من الصلاة، وصحيح أن وجود جماعة للصلاة في البيت الأبيض أتمر عادى تم في ظل كل الحكومات على أساس أن هناك تأثيرًا كبيرًا للدين في الحياة والسياسة الأمريكية لدرجة إن الكاتب الإنجليزي كين تشيستيرتون قد وصف أمريكا بأنها أمة بروح كنيسة، إلا أن المسألة تفاقمت في ظل جورج بوش الابن بصورة

مذهلة، مجموعات تلاوة الكتاب المقدس باتت الآن في كل زوايا البيت الأبيض، وزوجة رئيس الموظفين في البيت الأبيض اندروكارد قسة في الكنيسة المعمدانية، أما والد مستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس فكان مبشرًا في الأباما.

***

وفي الحقيقة فإن وجود وقوة اليمين المسيحي الأصولي في أمريكا ليس أمرًا جديدا الأصولية الإنجيلية، ولكن الجديد في المسألة هو أن تلك الأصولية أصبحت هي قلب الحزب الجمهوري، وفي قلب مؤسسة الحكم وأثرت بالتالي في المفاهيم والأسلوب، وصحيح أن أمريكا تحكمها مؤسسات تعبر في النهاية عن المجمع الصناعي العسكري إلا أن هذا المجمع يستخدم الآن منطق التبرير الديني الصليبية الجديدة ويستخدم بالتالي نفوذ الأصولية الإنجيلية في تبرير حروبه وعدوانه والتبشير بمفاهيم الإمبراطورية العنصرية الأمريكية، وترصد المؤلفة الأمريكية جريس هالسل في كتابيها الذين ترجمهما إلى العربية الأستاذ محمد السماك بعنوان النبوءة والسياسة ثم يد الله قصة صعود هذا التيار

وأثره على الحياة الأمريكية والسياسات الخارجية، ويفسر الكتابان كثيرًا من المواقف الأمريكية الخارجية خصوصًا ما يتصل منها بالشرق الأوسط والصراع العربي الصهيوني، وترى المؤلفة أن للتفسير البروتستانتي للعهد القديم عن نبوءات نهاية العالم أثرًا كبيرًا على الموقف الأمريكي، نظرًا لتأثر المسئولين الأمريكيين بتلك الرؤى والنبوءات، فمساعدة إسرائيل واجب ديني، وصحيح أن هناك عنصرية أمريكية ومسيحية تكره اليهود، ولكن ذلك يعبر عن نفسه بتجميعهم في فلسطين، أي التخلص منهم، وفي نفس الوقت فإن قيام إسرائيل مقدمة ضرورية لتحقيق نبوءة معركة هرمجدون، وفي الإطار نفسه يأتي العدوان على العراق، وتضم تلك الحركة الآن حوالي ربع الراشدين من الشعب الأمريكي تقريبًا على حد تقدير وليم مارتن أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة رايز ويرى داميان طومبسون مؤلف كتاب نهاية الوقت – العقيدة والخوف في ظل الألفية إن نسبة نمو المسيحية الإنجيلية في أمريكا تزيد على أي اتجاه ديني آخر في العالم، ويقدر العالم الأمريكي البروفيسور جون جرين من جامعة اكرون إن ٦٢ مليون أمريكا يعكسون إيمانًا بتلك

الأصولية الإنجيلية التي تريد دفع العالم إلى الحرب في معركة فاصلة يموت فيها ٣ مليارات من البشر ويموت فيها ٨ ملايين يهوديي وهذه العقيدة ذاتها كانت موجودة لدى رؤساء أمريكيين قبل بوش مثل جيمي كارتر ورونالد ريجان، فالرئيس جيمي كارتر ديمقراطي كان يرى أن إقامة إسرائيل هو تحقيق للنبوءة التوراتية والتنفيذ الجوهري لها، وكان الرئيس ريجان من أكبر المؤمنين بنبوءات التوراة لدرجة أنه كان يرى أنه سيشهد بنفسه معركة هرمجدون وقد ظل ريجان رئيسًا لأمريكا ثماني سنوات وكان الأكثر شعبية بين الرؤساء منذ فترة طويلة. وهذا اليمين الديني الأمريكي عمومًا والبروتستانتي خصوصًا يرى أن هناك واجبًا دينيًا على كل مسيحي أن يدعم إسرائيل، وأنه إذا فشلنا في حماية إسرائيل فلن نبقى مهمين في نظر الله.

****

إذا كان هذا التفسير الخاطئ والعنصري والدموي للعهد القديم يقود خطى قطاع كبير وفاعل من الأمريكيين – بمن فيهم رؤساء –، ويقود إلى حد كبير خطى الرئيس بوش ويقدم له التفسير والتبرير اللازم للاستمرار في العدوان فإن

من البديهي أن ذلك لا يتفق مع تعاليم المسيح ولا يتفق مع أي دين أو أخلاق، لأن تصوير الأمر بهذه الصورة يعنى أن المسيح جنرال دموي بخمسة نجوم، وفي رأي الدكتور جيمس. ر. جراهام وهو مربٍ ولاهوتي إن نظام التفسير الأصولي الإنجيلي البروتستانتي هو نظام جديد لتفسير النبوءات لا يزيد عمره على ١٥٠ عامًا وهذا يعنى أن كنيسة المسيح لم تأخذ بوجهة النظر هذه طوال ١٨٥٠ سنة، وهذا النظام التفسيري يقضى على وحدة الكتاب المقدس ويظهر الله بصورة غير عطوفة على الإنسانية ولا محبة لها، وأن هذا ينتهك معنى المسيحية، ويحول المسيحيين إلى رهائن لما يفعله يهود اليوم أو ما لا تفعلون، وأن هذا التفسير يضيع إسرائيل فوق الكنيسة وفوق تعاليم المسيح ذاته وأن هذا التفسير لا يمت بصلة إلى الكتاب المقدس.

حرب
على الجمعيات الخيرية..
أم حرب على الإسلام؟!

(٤)

حرب على الجمعيات الخيرية..

أم حرب على الإسلام؟!

المتتبع للإجراءات الأمريكية، ومن ثم الغربية، وما يفرض منها على بعض الحكومات العربية والإسلامية أن تتخذه حيال الجمعيات الخيرية الإسلامية؛ يكتشف للوهلة الأولى أن المسألة عميقة جدًا واستراتيجية، وليست مجرد رد فعل طارئ سيأخذ مداه ثم يهدأ ويسكن، وأن الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية هي حرب عالمية على الإسلام دينًا وحضارةً وقيمًا وسلوكًا وجهادًا.

وهل من المفيد هنا أن ننقل عن فضيلة الشيخ (صالح الحصين) الذي نقله بدوره عن واحد من الباحثين الذي وضع فرضية مبدئية وأدخلها في حاسوبه الشخصي، وظل يرصد الأحداث وتصريحات السياسيين التي لها صلة بهذه الفرضية، وكان يدهش كيف أن الوقائع ظلت تؤيد فرضيته؛ لقد بنى هذه الفرضية في شكل هرم كتب على ثلثه الأعلى الجهاد، وعلى ثلثه الأوسط المؤسسات الخيرية والمؤسسات المالية، وعلى قاعدته القيم والمبادئ، وقد افترض أن الغارة على الإسلام في صراع الحضارات سوف يكون هدفها الأول

الجهاد، وهدفها الأخير القيم والمبادئ، مرورًا بالمؤسسات الخيرية والمالية. وهل تلك الفرضية التي افترضها هذا الباحث من الدقة والذكاء بحيث تلخص المسألة كلها: حقيقتها، أهدافها، آلياتها؟ وقبل أن نسهب في شرح ذلك يجب أن نضع بعض الملاحظات حول الحرب الأمريكية والغربية على الجمعيات الخيرية..

– فمن ناحية؛ فإن خطاب العولمة المزعوم وخطاب قادة الفكر والسياسيين في الغرب؛ بل حتى مشروعات ومبادرات الإصلاح المزعوم التي يتقدم بها الرؤساء والباحثون، ومراكز الأبحاث ودوائر وزارات الخارجية.. الخ، وآخرها مبادرة الشرق الأوسط الكبير؛ كلها أكدت على ضرورة دعم ما يسمى بالمجتمع المدني – غير الحكومي – باعتباره إحدى ركائز الديمقراطية وأحد أهم بنود الأجندة العالمية حاليًا، وبديهي أن من يدعم المجتمع المدني لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يمنع هو هذا المجتمع المدني أو يصادر جمعيات خيرية هي إحدى تجليات هذا المجتمع المدني المزعوم، أو يدعو الحكومات العربية والإسلامية إلى بسط سيطرتها على تلك الجمعيات.. إنها مناقضة صارخة،

وازدواج معايير واضح، وهذا يكشف حقيقة الأجندة الأمريكية الغربية بخصوص هذا المجتمع المدني المزعوم؛ فالمطلوب دعم الجمعيات والهيئات والمؤسسات غير الحكومية التي تعمل وفق الأجندة الغربية، والتي تتلقى تمويلاً من الجهات الغربية، أي التي تعمل في إطار خدمة المشروع (الأمريكي – الصهيوني) بوعي أو بدون وعي؛ أما من يعمل مستقلاً في التمويل، مستقلاً في الأهداف، غير منضبط تمامًا على نغمة الأجندة الأمريكية فهو مرفوض ومتهم بالإرهاب، وسوف تصدر القرارات بمنعه ومصادرته وهكذا فإن الحرب الأمريكية الغربية على الجمعيات الأهلية الخيرية الإسلامية كشفت ضمن ما كشفت عن نفاق أمريكي وغربي واضح – ليس المطلوب إذا جمعيات تساعد الفقراء، أو تعيين المحتاجين أو تحفر الآبار في إفريقيا وآسيا، أو تساعد ضحايا العدوان الصهيوني على الفلسطينيين، أو تبنى المساجد أو ترعى الأيتام؛ بل المطلوب جمعيات تهدم القيم عن طريق تحريض المرأة على الخروج على تعاليم الإسلام، أو التمهيد للقبول بإسرائيل بدعوى القبول بالآخر، أو الترويج للقيم الأمريكية بدعوى أنها قيم عالمية..

خدمة المروع الأمريكي:

وهكذا فإن أول أهداف الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية هو منع امتداد المجتمع الأصلي الصحيح وإزاحته ليحل محله المجتمع الأهلي المزيف والعميل. هذا بالطبع لخدمة المشروع الأمريكي، وهو أيضًا إحساس داخلي عميق بخطورة المجتمع الأهلي الإسلامي ممثلاً في الجمعيات الخيرية، لأن آلية العدوان الأمريكي قادرة على السيطرة على كل ما هو حكومي ومعروف ومبرمج، أما العمل الأهلي فهو الأكثر صعوبة والأقدر على الاستمرار وخلق حالة من المقاومة أو الصمود أو الرفض، وتحقيق نوع من المناعة للمجتمعات..

- إن استخدام عنوان الإرهاب كذريعة للحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية أمر لم يكن لينطلي على أحد؛ فالكلمة نفسها تستخدم بمناسبة وبدون مناسبة لوصف كل مناهض لأمريكا وإسرائيل؛ بل أصبحت الكلمة والتهمة تستخدم من قبل كل من يريد استعداء أمريكا وإسرائيل والغرب، أو إرهاب الآخرين وتخويفهم وإسكاتهم على جماعة أو دولة أو فرد، وبديهي فإن الحرب على الإرهاب لا

علاقة لها بالعمل الخيري أساسًا، ويمكن حساب فرد أو مجموعة على ما قامت به بافتراض هذا صحيحًا دون المساس بالفكرة أو العمل الخيري عمومًا. على كل حال؛ فإن ما لاحظناه حول استخدام كلمة الإرهاب بطريقة فجة وممجوجة ومزدوجة المعايير ومنافقة هو في حد ذاته دليل على تهافت التهمة الموجهة للجمعيات الخيرية الإسلامية.

- يربط البعض عادة بين الحرب على الجمعيات الإسلامية أو الإسلام أو المظاهر الإسلامية وبين أحداث ١١ سبتمبر ١٢٠٠١، وهو ربط غير صحيح من وجهة نظرنا؛ فلا علاقة سببية بين الاثنين؛ بل يمكن القول أن الحادث قد استخدم كذريعة أو تبرير أو مناسبة لتصعيد الهجوم على المظاهر الإسلامية، والحقيقة أن هناك وجدان صليبي غربي معروف، وهو يمثل الظاهرة الرئيسية في التاريخ، وحتى الآن قد تخفت أحيانًا بسبب وجود تناقضات ثانوية (كالتناقض السابق بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا)، ولكن ما أن يتم حل هذه التناقضات الثانوية حتى يبرز التناقض الأساسي والجوهري، وهكذا فإن الحرب على الإسلام والظواهر الإسلامية لم تتوقف منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، وهذه

طبيعة الصراع الإسلامي الشيطاني، ولكن المناسبة الأكبر لتسارع وتيرة هذه الحرب هو سقوط الاتحاد السوفيتي السابق والمنظومة الشيوعية وليس أحداث ١١ سبتمبر.

– إن من المعروف في قواعد مناهضة أية فكرة أو حركة ضرورة ضرب حلقاتها الوسيطة باعتبارها الرابط بين الجر والثمار المرجوة؛ لأن من المستحيل عمليًا اقتلاع الجذور، أو أن ذلك صعب جدًا.

أما قطع الساق فهو الطريق الأسهل لمنع ظهور الثمار، وهكذا ووفقًا لفرضية الباحث المذكور سابقًا من أن الجمعيات الخيرية هي الحلقة الوسيطة بين القيمة والجهاد؛ فإن ضرب الإسلام يقتضي ضرب تلك الحلقة الوسيطة.

– وهل من المفيد هنا انطلاقًا من النقطة السابقة أن نبحث عن الأسباب العامة والخاصة الاستراتيجية والتكتيكية لضرب الجمعيات الخيرية الإسلامية، فهي تأتي في الصراع الحضاري الممتد في التاريخ والجغرافيا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؛ أي في إطار الصراع بين فكرة التوحيد والعدل والحرية واللاعنصرية والتسامح، وبين العنف والقهر والنهب والوثنية والعنصرية والظلم وازدواج

المعايير، وهي تأتى في محاولة فرض قبول الرأسمالية على العالم، وذلك أنه بعد انهيار الشيوعية وثبوت فشلها نظريًا وفلسفيًا وتطبيقيًا؛ فإن المنظومة الإسلامية هي الوحيدة المرشحة لمناهضة الرأسمالية؛ ليس بالنسبة للمسلمين فقط؛ بل بالنسبة لكل سكان العالم المتضررين من الرأسمالية، لأن الإسلام يمتلك خطابًا عالميًا، ويمتلك خطابًا منحازًا للمستضعفين والفقراء، وينصفهم ولا يظلمهم، ويمتلك خطابًا غير عنصري، وهو بهذه المثالية يمكن أن يكون أيديولوجية للمستضعفين في العالم، والراغبين في مناهضة العولمة والرأسمالية، بالإضافة إلى كونه دينًا، ومنظومة قيمية للمسلمين تحُول دون خضوعهم أو قبولهم بالانصياع للقيمة الغربية والأمريكية، وهكذا فهو الأساس الصحيح لظهور الرفض والمقاومة، وعدم الانصياع وتعطيل مشروع الهيمنة (الأمريكي – الصهيوني) على العالم، وبالتالي فإن ضرب وتصفية الجمعيات الخيرية الإسلامية المتوقع، وهو نوع من الحرب الدعائية الإعلامية غير المباشرة، فبدلاً من أن تقوم تلك الجمعيات بتزويد المجتمعات الإسلامية بقدر أكبر من القدرة على الاستمرار والصمود، ونشر القيمة الإسلامية،

وبدلاً من أن يتم الحديث عن الإسلام باعتباره يرعى اليتيم، ويساعد الفقير، ويُبقى بئر الماء، ويساعد على التعليم؛ يتم الحديث عنه فقط – زورًا – بلفظ الإرهاب والعنف والبربرية؛ وبالتالي تنجح الحملة العالمية الأمريكية الصهيونية في تشويه صورة الإسلام وحصاره.

في مواجهة التنصير والتغريب:

بالإضافة إلى ذلك فإن العمل الخيري الإسلامي هو نوع من المانع الضروري لشل قدرة جماعات التنصير والتغريب عن العمل، والتي تخدع الناس وتحاول شراء وجدانهم بالمساعدات، ومن المعروف أن هناك علاقة جدلية بين التنصير والاستعمار فكلاهما يخدم الآخر، وكل منهما يؤدى إلى الآخر، وبالتالي فإن إزاحة العوائق من أمام المنصّرين هدف أمريكي استعماري صهيونيي مباشر واستراتيجي، وفي هذا الصدد؛ فإن الحرب على الجمعيات الخيرية يصبح ضروريًا لنجاح مخطط التنصير.

بالطبع فإن العمل الخير الإسلامي به أخطاء ولكن الأخطاء يمكن إدراكها ومعرفتها وحلها ولن يخلو عمل بشرى من الأخطاء قط، ونزعم أن العمل الخيري الإسلامي

هو الأفضل من حيث شفافيته، ولكن الأخطاء فيه بالنسبة للجمعيات الخيرية اليهودية أو المسيحية، ورغم كل الفضائح والجرائم التي ارتكبتها الجمعيات المسيحية واليهودية؛ فإن أحدًا لم يطالب بإلغائها أو تصفيتها وهكذا فإن تهافت مبررات الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية بينت أن المسألة حرب على الإسلام تأخذ أشكالاً متعددة؛ منها الحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية!

أمريكـــا
استراتيجية واحدة
وتكتيك مختلف

(٥)

أمريكا استراتيجية واحدة وتكتيك مختلف:

بالطبع فإن المجتمع الأمريكي ليس مجتمعًا مصمتًا، ولكن الحساب السياسي والإستراتيجي الصحيح يكون على أساس محصلة هذا المجتمع، واتجاه هذه المحصلة، والمجرى الرئيسي لسياسة ذلك المجتمع في لحظة ما، وليس البناء على هوامش هذا المجتمع يمينًا أو يسارًا مهما كان حجم هذا الهامش؛ لأننا نواجه في النهاية ممارسات القطاع صاحب القرار، وتقطع على رؤوسنا هذه الممارسات حتى ولو كان حجم الانتقاد لها في الداخل الأمريكي عاليًا جدًا أو عريضًا جدًا، ولا ننسى أننا أمام مجتمع فيه مؤسسات وفيه قوى حاكمة هي الجمع الصناعي العسكري، وهذه المؤسسات هي آلتي تعبر عن ذلك المجمع الصناعي العسكري الحاكم، وبالتالي فالقرارات الاستراتيجية في حقبة ما سوف تصدر سواء كان يحكم أمريكا الجمهوريون أم الديمقراطيون؛ فهذا بالطبع لا ينفي وجود خلافات وتناقضات – ثانوية – بين الجمهوريين والديمقراطيين، أو بين قوى المجتمع الأمريكي، ولا ينفي إمكانية الاستفادة منها، وبالتالي فمن الصحيح

والصحي رصد تلك التناقضات وفهمها شريطة أن ندرك أولًا وأخيرًا أنها تناقضات ثانوية.

خلاف في التكتيك:

فالحرب على العراق، ومفاهيم الإمبراطورية الأمريكية، واليمين المسيحي الأصولي، وجورج بوش وإدارته، والدعم غير المحدد لإسرائيل ليست اختراعًا من الجمهوريين؛ فربما يكون هناك خلاف حول الطريقة والتكتيك، ولكن ليس على الاستراتيجية والأهداف النهائية؛ بل ربما كان الديمقراطيون أشد حماسًا لإسرائيل من الجمهوريين، ربما كانوا متحمسين لإسرائيل ووجودها واستمرارها مع إدراك أن مصلحة إسرائيل وأمريكا تقتضي عدم مسايرة السياسات الشار ونية، ليس كراهية في شارون أو حبًا في العرب؛ ولكن لأن تلك السياسة سوف تستفز المجتمعات العربية والإسلامية، ويكون رد فعلها على المستوى الإستراتيجي والمدي البعيد أخطر من رد فعلها على سياسات أقل مدة وأكثر حدة، أو أن الفرق هو بين أسلوب الثعالب وأسلوب الذئاب ليس إلا، والأمر نفسه يتضمن ويشمل السياسات الأمريكية الأخرى المتصلة بالتواجد في

المنطقة وطريقة إدارتها، وفي كل الأحوال فإن تفصيل هذا الأسلوب أو ذاك يرتبط أولًا وأخيرًا في حالة المقاومة وقدراتها ومدي تجذرها في الواقع العربي، فالديمقراطيون مثلًا يهاجمون سياسة الرئيس بوش وإدارته في العراق، والسيناتور جون كيرى المرشح الديمقراطي للرئاسة طالب بمحاسبة الرئيس الأمريكي جورج بوش ونائبه ديك تشيني على تضليل الرأي العام لادعائهما امتلاك العراق أسلحة الدمار شامل، وقال كيرى لشبكة (سي. بي. إس) التليفزيونية الأمريكية إنه لابد من تشكيل لجان استماع تابعة للكونجرس لمعرفة الحقيقة كاملة، وأنه لا يعتقد أن السبب المسيحي ذلك ضعف المعلومات المخابراتية. وشبه كيرى حرب العراق بالحرب الأمريكي خاضتها أمريكا المسيحي فيتنام. وقال: إن الشباب يموت للمبررات الخطأ، وإن بوش سارع بالدخول المسيحي حرب العراق دون خطة للفوز!!.. نفس الكلام أو قريب منه يردده باقي الديمقراطيين وقطاعات أخرى من الشعب الأصولي والمثقفين الأمريكيين فالجنرال كلارك وهو أحد زعماء الديمقراطيين قال لشبكة"إن. بي. سي": إن مسألة العراق تتخطى دور المخابرات الأمريكية، وأنه يعتقد أن

الإدارة الحالية ضغطت على أجهزة المخابرات لتصل إلى النتائج الأمريكي تحتاج إليها.

إن جوزيف ليبرمان المرشح للرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠ والذي خسر أمام جورج بوش بسبب التلاعب المعروف المسيحي حساب الأصوات وفقًا للائحة الأمريكية وطريقة حساب أصوات المجمع الانتخابي ألقي باللوم على المخابرات الأمريكية...

قوانا الذاتية أهم:

فالانتقاد هنا لا يصل إلى درجة رفض الحرب على العراق أصلا، ولكن على أنه لم تكن هناك خطة للحرب، أو أن المبررات كانت ملفقة وهذا كله أيضًا لم يكن ليحدق أو يحقق أي تفاعل لدي هؤلاء لولا الخسائر الباهظة الأمريكي تخسرها القوات الأمريكية المسيحي العراق بسبب المقاومة العراقية الباسلة، أي أن المسألة ليست خلافًا على المبدأ، بل خوفًا من الوصول إلى كارثة بسبب تلك الخسائر وضياع هيبة الولايات المتحدة، وهكذا فالعامل الأهم هنا هو قوانا الذاتية والمقاومة العراقية تحديدًا، ونلاحظ أن هؤلاء الذين ينتقدون إدارة بوش بسبب عدم قدرته على القضاء على

المقاومة ويصلون المسيحي نقدهم إلى حد المطالبة بمحاكمة بوش ونائبه هم أنفسهم الأكثر حماسًا للمشروع الصهيوني، وبعضهم صهاينة"جوزيف ليبرمان"، وأن ضميرهم لم يلفظ المجازر والوحشية الأمريكي يتعرض لها الفلسطينيون!!

وبالطبع هناك قوى وشخصيات ومفكرون وفنانون ومثقفون يعترضون على السياسة الأمريكية بشكل عام، أمثال ناعوم تشومسكي، ولكن هؤلاء لا تأثير لهم على القرار الأصولي، وهم على هامش الهامش بالنسبة لمؤسسة الحكم المسيحي أمريكا.

أيا كان من يحكم أمريكا؛ فإن الاستراتيجية واحدة، والتكتيك مختلف، ويجب أن ندرك هذا ونفهمه، وبالإضافة إلى ذلك فإن موضوع العراق وفلسطين ليس وحده هو الذي يحسم الحركة الانتخابية؛ فهناك عوامل شتى ومختلفة من الإعلام والمال وقضايا الداخل الأصولي، وليست السياسة الخارجية فقط في الأمريكي تؤثر تأثيرًا كبيرًا المسيحي ذلك، وكلها تحت سيطرة المجمع آلتي الصناعي الحاكم المسيحي واشنطن. ويجب أن ندرك أيضًا أن جون كيرى نفسه كان قد أيد إعطاء بوش تفويضًا بالحرب المسيحي العراق عندما

عرض الموضوع على الكونجرس، وأنه تراجع عن ذلك ليس من حيث المبدأ ولكن لزيادة خسارة القوات الأمريكية المسيحي العراق بسبب المقاومة العراقية المتصاعدة. أما المرشح الديمقراطي هوارد دين والذي هو الأعلى صوتًا والأكثر معارضة للتورط الأصولي المسيحي العراق؛ فإنه تعرض لهجوم شديد من الدوائر الأمريكية الأمريكي اتهمته بعدم الوطنية، وقد أثر ذلك على شعبيته بما يدل على أن معارضة الحرب على العراق والتورط فيها من حيث المبدأ لا يزال غير مقبول شعبيًا، أو أن دوائر النفوذ المؤثرة المسيحي أمريكا قادرة على إضعاف من تريد وقتما تريد بسبب امتلاكها للمال والإعلام.

وهكذا فإن المراهنة على تغير الموقف الأصولي من العدوان بسبب الإطاحة بجورج بوش مثلًا أو وصول الديمقراطيين إلى السلطة هو نوع من الوهم اللذيذ؛ فالمسألة أولًا وأخيرًا مرتبطة بالمقاومة، وهل تستطيع الولايات المتحدة تحمل الخسائر أم لا؟

ولا يفوتنا المسيحي هذا الصدد أن معظم قادة الحزب الديمقراطي والذين دخلوا سياق الانتخابات التمهيدية كانوا

ولا يزالون يؤيدون الحرب على العراق واحتلالها مثل جوزيف ليبرمان، والسيناتور إدواردز وغيرهما.

المراهنة الخطأ:

حوار الأفكار والآراء المسيحي المجتمع الأصولي والذي قلنا إنه غير مصمت هو أمر طبيعي وبديهي، ولكن يجب ألا يقودنا هذا إلى المراهنة على الظواهر الخطأ؛ فالحساب يكون على المحصلة واتجاه تلك المحصلة وعلى المجرى الرئيسي وعلى توجهات المؤسسة الحاكمة الحقيقية...، ولاشك أن السياسة الأمريكية الحالية في محصلة ونتيجة تطور الآلة الرأسمالية، والعولمة وانهيار الاتحاد السوفيتِّي السابق، وهي جزء من البنية الداخلية للمجتمع الأصولي الذي قام أصلا على الإبادة والعدوان واسترقاق السود ونهب الآخرين، والصحي فإن وصول إدارة بوش إلى السلطة هو الذي كان نتيجة ذلك التطور، وليس العكس.

أسرار وفضائح البيت الأبيض:

وإذا كان من المفيد رصد وفهم مثل تلك التفاعلات مع إدراك محدودية تأثيرها وطبيعة ذلك التأثير، فإننا نرصد صدور عدد من الكتب الأمريكي تناهض سياسة الرئيس

بوش وتقدم انتقادات لاذعة له ومن هذه الكتب كتاب"أكذوبة بوش الابن" للمؤلف الأصولي دافيد كورن، وكتاب"أكاذيب وكذابون" للصحفي مولى إيفانز، وهذا الكاتبان يؤكدان أن البيت الأبيض عمد إلى تسييس أحداث ١١ سبتمبر لتبرير سياسات معتمدة سلفًا مثل الحرب على الإرهاب، وهناك أيضًا كتاب"ثمن الولاء" لوزير الخزانة الأصولي السابق"بول أونيل" والذي يصور فيه المؤلف الذي أطلع عن قرب بحكمة عمله كوزير للخزانة المسيحي إدارة بوش على أسرار السياسة الأمريكية المسيحي عهد ذلك الرئيس وإدارته وعرف كيف تدار المسائل الاستراتيجية وقرارات الحرب وغيرها، وقد أتهم بول أونيل الرئيس بوش الصغير بأنه سلبي وسطحي ولا دور له إلا توقيع القرارات، وأن هذه القرارات يتخذها المحافظون المتشددون من أمثال ديك تشيني، وكارل دون. وكشف بول أونيل أن خطة ضرب العراق كانت خطة معدة سلفًا ربما حتى قبل فوز جورج بوش الابن بانتخابات عام ٢٠٠٠، لأن الشهور الثلاثة الأولى من حكم بوش الابن كانت موجهة لدراسة آليات تنفيذ تلك الخطة، والبحث عن ذرائع لتبرير العملية أمام الرأي العام،

وإن الجميع من مستشاري الأمن القومي حتى وزير الدفاع كان يعمل لتنفيذ الخطة، وليس السؤال عن جدواها أو عدم جدواها مثلًا، وقد تضمن الكتاب عددًا من الوثائق الأمريكي أزعجت البيت الأبيض الذي اعتبرها نوعًا من إفشاء أسرار الحكم الذي كان أونيل جزءًا منه لمدة ٣٣ شهرًا كوزير للخزانة، منها وثائق تثبت أن قرار الحرب اتُخذ قبل أحداث ١١ سبتمبر؛ بل إن تصورات ما بعد الحرب كانت تتم مناقشتها، وكانت الحرب شيئًا حتميًا لا رجعة عنه، وإحدي هذه الوثائق بعنوان"عراف ما بعد صدام"، والأخرى بعنوان"الساعون الأجانب لعقود حقول النفط العراقية"، ويعترف وزير الخزانة مؤلف الكتاب المذكور"ثمن الولاء" أن فكرة الحرب الاستباقية فكرة غير أخلاقية وأنها أساءت إلى سمعة أمريكا، وجعلت منها دولة مارقة منفردة بقرارها لا تصغي لصديق أو حليف؛ فأصبحت بذلك المسيحي عزلة من العالم كما يعترف الرجل بأن الاجتماعات الأمريكي شارك فيها والتي كانت مخصصة لموضوع امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل أعطته إحساسًا بعدم جدية الأدلة المقدمة على ذلك، وأن أحدًا لم يكن يهتم بمدي جدية تلك الأدلة؛ بل انصبّ

الاهتمام على البحث عن أساليب الإطاحة بصدام ووسائل الغزو الصناعي واحتلال العراق.

اعترافات خطيرة لمنظر المؤسسة الأمريكية:

على الجانب الآخر لصراع الأفكار؛ فإن كتاب"نهاية الشرّ" للمؤلف ريتشارد بيرل هو الأكثر تعبيرًا عن أمريكا وعن المؤسسة الحاكمة فيها وعن توجهاتها الرئيسية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والانفراد بالتنمية المسيحي العالم وانتصار الرأسمالية وتطورها المسيحي اتجاه العولمة، وكذا فإن شخصية المؤلف ذاتها تؤكد هذا المعنى؛ فريتشارد بيريل هو فيلسوف اليمين الأصولي المحافظ، والصحي فهو فيلسوف ومنظر المؤسسة الأمريكية الحاكمة المسيحي هذه الحقبة، وهو الأب الروحي للعصابة الأمريكي تحكم البيت الأبيض:"تشيني، رامسفيلد، وكونداليزارايس، وولفوتيز... الخ)، وكان ريتشارد بيرل هو رئيس مجلس سياسات الدفاع المسيحي البنتاجون، وبعد فضائح مالية أصبح عضوًا المسيحي ذلك المجلس، ولكن لا يزال هو المؤثر الأكبر عليه، حيث الرئيس الجديد والأعضاء هم تلاميذه، وهو مهندس الحرب على العراق بلا منازع، وأول من وضع

خطة لذلك الأمر حتى قبل أن يتولى بوش الرئاسة، وأراء بيرل يرددها كبار المسؤولين المسيحي البيت الأبيض، كما يرددها عدد كبير من الباحثين والمفكرين والجنرالات المسيحي أمريكا، أي أن الرجل هو التعبير الأساسي عن السياسة الأمريكية المسيحي تلك الحقبة، وهو أن ريتشارد بيرل كان مستشارًا لليكود المسيحي إسرائيل، وقد طرح الرجل المسيحي هذا الكتاب (الخطير والهام، والذي ينبغي ترجمته بسرعة، وقراءة ما فيه ومعرفة ما يخطط لنا بالتالي المسيحي أمريكا المسيحي تلك الحقبة) أسرارًا غاية المسيحي الخطورة؛ فهو يرى أن الإسلام هو مصدر الشر، وأن البلاد العربية والإسلامية هي معمل تفريغ الإرهاب، ويدعو إلى مهاجمة كل من إيران وسوريا سريعًا، وأنه يجب إلغاء معاهدة أوسلو وحل الموضوع الفلسطيني على طريقة شارون ومن جانب واحد، وأن الأمم المتحدة لا قيمة لها ولا تعنى شيئًا، وأنه ينبغي تأديب أوربا لتخلفها عن تأييد ودعم الضربة العسكرية الأمريكية للعراق، وأن فرنسا دولة عدوة، وأنه يجب اتباع من الإجراءات التأديبية ضد فرنسا، وأن زمن الحرب الباردة قد انتهي، وأن على فرنسا أن تدرك ذلك

وتغير خطابها السياسي، وأن أمريكا هي القوة الوحيدة في العالم الآن ولا يوجد منافس أو منازع لها، وأن احتلال العراق ليس إلا مقدمة تتبعها سوريًا ثم السعودية كهدف استراتيجي، ومن ثم تكون مصر هي الجائزة، وأن فلسطين هي إسرائيل، والأردن هي فلسطين، والعراق هو المملكة الهاشمية، وأنه من حق الولايات المتحدة ضرب أية دولة في العالم تعجز عن القيام بدورها في ملاحقة الإرهاب؛ لأن هذا العجز يؤدي إلى خطر على أمريكا في النهاية!.. ويرى بريل ضرورة تخويف روسيا حتى تقر بالقيادة لأمريكا وحدها، ويطالب الرجل بمضاعفة ميزانية الدفاع والمخابرات وإعادة ترتيبها بما يضمن الكفاءة في شن الحروب الوقائية أو الاستباقية، وقد يبدو للوهلة الأولى أن الرجل مصاب بجنون العظمة أو أن ما يقوله"هلوسات الغطرسة" كما وصفه البعض، أو إطلاق وصف أمير الظلام عليه كما أصبح مشهورًا عنه، كل هذا قد يكون صحيحًا أو خاطئًا، أو صحيحًا جزئيًا أو خاطئًا جزئيًا، ولكن المؤكد أنه حتى لو كان الرجل مجنونًا أو أميرًا للظلام أو مصابًا بهلوسات الغطرسة؛ فإن ما يقوله هو للأسف السياسة الحقيقية أو

القريبة جدًا من الحقيقة للمؤسسة الأمريكية الحاكمة وللمجمع الصناعي العسكري المتحكم الحقيقي في أمريكا، فضلًا عن حكام البيت الأبيض وإدارة جورج بوش وصقور وزارة الدفاع، أي أن علينا أن نأخذ ما يطرحه الرجل بجدية مهما كان غريبًا وفظًا وشاذًا!!

الجـريمـــــة

(٦)

الجريمة:

يعجز القلم على نقل الإحساس الداخلي لآي عربي أو مسلم أو حتى أي إنسان محترم تجاه ما قامت به سلطات الاحتلال الأصولي والبريطاني تجاه الشعب العراقي؛ بل قل تبكى المآذن والقباب والمحاريب على ما حدث، وإذا كان تراثنا الإسلامي العظيم يقول إن حرمة الإنسان أعز على الله من الكعبة فإن هذا يوضح إلى أي مدي كان عمق المهانة والذل الذي شعرنا بها جميعًا تجاه ما حدث للعراقيين المسيحي معسكرات الاعتقال. فالصور الأمريكي نشرتها صحيفة"الديلى ميرو" البريطانية والتي تم نقلها على نطاق واسع المسيحي صفحات الإنترنت وفي قنوات التليفزيونية الفضائية تعبر عن حقيقة التوحش الأصولي والغربي ومدي المهانة والضعف الأمريكي نعاني منها، ويجب هنا أن نلفت النظر إلى أن تلك الممارسات كانت معروفة قبل أن تنشرها صحيفة"الديلى ميرو" وقد سجلتها اعترافات بعض الأسرى المفرج عنهم أو ما سجلته تقارير لجان حقوق الإنسان، ولكن السؤال هو: لماذا نشرت تلك الصحيفة المذكورة هذه الصور، أو لماذا سمح لها بذلك؟ هل هو من بقايا الضمير الغربي..

ربما – لكن الأكثر أهمية هو أن الدوائر الاستخبارية أرادت أن تدرس رد الفعل العربي والإسلامي والعالمي على جريمة بمثل هذه الخسة والوحشية، فإذا كان رد الفعل ضعيفًا أو محتملًا بالنسبة لها – وهو ما حدث – فإن ذلك يجعلها تجهز للمرحلة الثانية أو التالية للعدوان... فهل يكون ذلك باتجاه هدم الأقصى، أو شئ قريب من هذا – محتمل جدًا!!.

المقاومة في الحل:

الجرائم المنشورة – ناهيك طبعًا عن غير المنشورة في بالتأكيد أكبر وأسوأ، تدور حول تبول جندي أمريكي على أحد الأسرى العراقيين المقيدين المسيحي الأغلال وهو ما يعنى أن الأمريكيين ينظرون لنا على أننا دون البشر؛ بل دون الحيوانات أصلًا، وهي النظرة الأمريكي تبرر لهم ما يفعلونه أو سوف يفعلونه بنا، وتمهد لعمليات الإبادة والاسترقاق المتوقعة لنا.

وكذا تعذيب الأسرى بوضع سجائر مشتعلة المسيحي أجزاء حساسة من أجسادهم، أو تعذيبهم بالكهرباء المسيحي أماكن حساسة من أجسامهم أيضًا، أو إجبارهم على ممارسة الشذوذ الجنسي أو تمتع المجندين والمجندات الأمريكيين

بحركات شاذة يمارسونها مع الأسرى أو يتفرجون على ممارستها، والجدير بالذكر هنا أن الجنود البريطانيين فعلوا الشيء نفسه، وهو ما يؤكد أن الانحطاط الأخلاقي ليس قاصرًا على الأمريكيين فقط؛ بل هو سلوك وسمة غربية، وكذا النظرة الدونية لنا كبشر في تعبير عن نمط حضاري غربي كامل وليس أمريكي فقط، وفي النهاية فإن أمريكا في آخر صور الانحطاط الصوري الغربي، وهو ما يعنى أننا أمام تحد غير مسبوق؛ فإما المقاومة حتى ولو كانت نتيجتها الموت، وإما الموت أيضًا مع العار، ولا ننسى المسيحي هذا الصدد حالات الاغتصاب الأمريكي تعرضت لها العراقيات وهو ما تم نشره قبل ذلك وشكك فيه البعض، ولعل ما يحدث المسيحي العراق وقبلها المسيحي فلسطين يؤكد حقيقة انحطاط الغرب بكل مدارسه وجنوده، وليس اليمين الأصولي فقط، بل حزب العمال"البريطاني" وقبله الليكود والعمل المسيحي إسرائيل وهلم جرّا...

شذوذ القاعدة:

لا يمكننا بالطبع أن نفهم الحديث المنافق عن أن ذلك سلوك فردي لمجموعة من الجنود، فإحداهن كانت برتبة

جنرال أمريكي أي أن السلوك يعبر عن خلفية فكرية وثائقية معينة تطال القاعدة العريضة – هناك شذوذ على القاعدة واستثناءات طبعًا تمثل الضمير أو بقايا الضمير الغربي – ولكننا عادة نستنتج النتائج والدلالات من القاعدة الأوسع والمحصلة والمجرى الرئيسي للظاهرة، وطوال فترات الاستعمار الغربي لبلادنا حدثت انتهاكات بشعة مارستها حكومات جمهورية وملكية، يمينية ويسارية.. الخ... ويجب عدم قطع الصلة الإحصائية والدلالات بين ما حدث المسيحي العراق، وما كان يحدث المسيحي البلاد المستعمرة من الجزائر إلى مصر إلى ليبيا إلى فلسطين إلى سوريا.... الخ.

ومما يدعو إلى الاستفزاز أن أحد عملاء الاحتلال الأصولي المسيحي العراق قال تعليقًا على ما حدث المسيحي معسكرات الاعتقال على يد القوات الأمريكية والبريطانية أن ذلك كان يحدث أيضًا المسيحي سجون صدام حسين، وهب أن ذلك صحيحًا، فهل يبرر الخطأ، وإذا كان صدم حسين معرض الآن للمحاكمة، فهل نتوقع محاكمة كل من جورج بوش وتوني بلير ورامسفيلد بتهمة مجرمي الحرب، أشك بالطبع وحتى لو تم إعدام هؤلاء فإن ذلك لن يُنسى الذل

والعار الذي لحق بنا، والذي لا حل له سوى"المقاومة والتحرير ومواجهة التحدي الغربي بكامله، فإما الموت واقفين، وإما النصر وليس العار والانكسار والذل بحثًا عن حياة شكوك المسيحي الحصول عليها أصلًا!!

وبمناسبة الحديث عن أن ذلك كان يحدث المسيحي سجون صدام فإن المقاومة تكمن المسيحي أن الدوائر الأمريكية والبريطانية ومن لف لفهم من عرب أمريكا كان قد برروا العدوان على العراق بأسلحة الدمار الشامل العراقية، وثبت أن هذه أكبر كذبة أمريكية وبريطانية معاصرة، فلما سقطت تلك الكذبة، قالوا إننا جئنا لإنقاذ العراقيين من التعذيب والقهر والديكتاتورية، فإذا هم أنفسهم يمارسون أبشع أنواع التعذيب والقهر والديكتاتورية، بل وأكثرها نذالة وانحطاطًا – فماذا بقي لهم لكي يتذرعوا به؟ أليس هذا كافيًا للذين تورطوا المسيحي التعاون مع الأمريكان وخاصة المسيحي مجلس الحكم أن يراجعوا أنفسهم؟ ما معنى استمرار حزب الدعوة، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية المسيحي العراق، والإخوان المسلمين؟ بل وكل القوى السياسية المشاركة المسيحي الحكم – ثم معنى مراهنة

السيستاني وقطاع كبير معه على مسألة الانتخابات تحت أسنة الاحتلال الأصولي أليس هذا نوعًا من الانسحاق والاستدلال بلا حدود، لماذا لا يصطف الجميع المسيحي خندق المقاومة العراقية الباسلة... لو كان هناك نخوة أو دين أو عروبة أو وطنية للآخرين إلا بالمقاومة، والمقاومة فقط.

حضارة عنصرية:

حديث البعض عن صدمته، فيه قدر من المراوغة؛ فالحقيقة أن كل تاريخ أمريكا، والمجرى الرئيسي المسيحي تاريخ الحضارة الغربية يقود إلى تلك الجرائم ويؤدي إليها، فهي حضارة عنصرية قامت ولا تزال على إبادة الآخر وقهره وتعذيبه ونهبه، والمسلمون حاليًا هو هذا الآخر المستهدف، ولعل ما حدث المسيحي العراق وقد أصبح معروفًا بفضل الصور المتسربة يؤكد على أن أشياء أسوأ وأكثر حدثت المسيحي أفغانستان، وحدثت وتحدث المسيحي معسكر جوانتانامو، ولكن الحصار الأمني والمعلومات حول ما يحدث هناك مازال لم يخترق، بل إن العجيب أن أمريكا استقدمت أحد خبراء التعذيب المسيحي معسكر جوانتانامو للاستفادة بخبرته المسيحي العراق ولكن من هؤلاء المساكين

المسيحي جوانتانامو!. ودماؤهم وأعراضهم وما لحق بهم من تنكيل وتعذيب المسيحي رقبة الحكومات العربية والإسلامية وفي رقبة العالم المتمدن!!

الحرب على حماس

(٧)

الحرب على حماس:

- عملية القضاء على المقاومة إسرائيليًا ليست جديدة، ولكن الجديد مستوى العنف فيها واتساعها وصمت وسكوت أو موافقة ضمنية عربية عليها.

- المبررات الأمريكية لضرب حماس يمكن أن تنصرف إلى أنها سياسة ضد كل ما هو عربي أو إسلامي أو مقاومة لا أكثر ولا أقل.

- الخطورة ليست المسيحي الضغط الخارجي على حماس، ولكن إمكانية استدراج حماس المسيحي خط المساومة والهدنة بفعل الضغط الداخلي الفلسطيني.

الحرب على حماس هو العنوان الرئيسي للسياسة الأمريكية الإسرائيلية، خاصة بعد فمتى شرم الشيخ والعقبة، ولعل هذا يؤكد أول ما يؤكد أن الهدف الرئيس من خارطة الطريق الأمريكية لم يكن إلا محاولة ذبح المقاومة الفلسطينية عمومًا وخاصة حماس باعتبارها أكبر حركات المقاومة الفلسطينية وأكثرها قدرة على تنفيذ العمليات وإنزال الخسائر بالعدو الصهيوني.

بديهي أن الحرب على حماس في حرب على كل المقاومة الفلسطينية: حماس، والجهاد، وكتائب الأقصى، والجبهة الشعبية، وكل من يرفض الخضوع للسلام أو الاستسلام الأصولي الإسرائيلي. والرئيس الأصولي جورج بوش بنفسه قال: إن على العالم أن يتصدي لحماس، ويعتمد الشدة والحزم المسيحي التعامل معها، وطلب بنفسه تجفيف منابع تمويل الحركة من الدول العربية أفرادًا وحكومات، وحصل بالفعل على تعهد بذلك من الدول العربية، كما أنه كان من قبل قد نجح المسيحي وصف حركات المقاومة بالإرهاب، وأخذ موافقة جميع الدول العربية المشاركة المسيحي فمتى شرم الشيخ والعقبة بمن فيهم رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن).

وهكذا فإن بوش يطلب شن حرب عالمية وإقليمية على حماس ويطلق يد إسرائيل طبعًا المسيحي الاستمرار المسيحي محاولة تصفية حماس وغير حماس لانتزاع الخلايا الحية من الجسد الفلسطيني، ومن ثم إفقاد الجسم مناعته وقدرته على الرد وتركه جثة هامدة يمكن التصرف فيها بدون مشاكل.

حرب ليست بجديدة:

الحرب الأمريكية الإسرائيلية على حماس ليست جديدة عليها ولا على كل حركات المقاومة، وحاولت إسرائيل دائمًا – ولا تزال – القضاء على حماس والجهاد الإسلامي وكتائب الأقصى والجبهة الشعبية، فعلت كل ما المسيحي وسعها: من اغتيال قادة سياسيين، مثل الدكتور (فتحي الشقاقي) مؤسس حركة الجهاد الإسلامي وأمينها العام المسيحي قبرص عام ١٩٩٦، و(أبو على مصطفي) الأمين العام للجبهة الشعبية، ومحاولة اغتيال (خالد مشعل) المسيحي عمان، وأخيرًا اغتيال (أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي).

ومن تدمير المنازل ونسفها إلى اغتيال كوادر نشطاء بمختلف المستويات من حماس والجهاد تحديدًا، واقتحام المدن واعتقال كوادر حركات المقاومة.

والمسألة هنا لا تخص حكومة (شارون) وحدها؛ بل فعلتها حكومات من قبل شارون، ومن حزب العمل نفسه وهي محاولة اغتيال الدكتور (فتحي الشقاقي)، فقد كانت المسيحي وجود رابين كرئيس وزراء لإسرائيل، ومن قبل ذلك فإن اغتيال السياسيين والمدنيين كان سمة ثابتة للسياسة

الإسرائيلية من اغتيال الوسطاء الدوليين قبل ١٩٤٨، أو اغتيال (أبي جهاد) أو قادة ومفكري وشعراء المقاومة المسيحي بيروت (نفذها باراك شخصيًا)، وغيرها من العمليات الأمريكي لا تعد ولا تحصى.

فعملية القضاء على المقاومة إسرائيليًا ليست جديدة، ولكن الجديد مستوى العنف فيها واتساعها، وصمت وسكوت أو موافقة ضمنية عربية عليها، وكذلك فإن الجديد هو انحياز أمريكا المعلن والرسمي إلى إسرائيل المسيحي هذا الصدد واعتبار المعركة مع حركات المقاومة معركة أمريكية أساسًا.

معركة غير أخلاقية:

وهي معركة بالطبع غير أخلاقية ولا مبررة؛ لأن الحرب الأمريكية على حماس بدعوى أنها منظمة إرهابية فيها تناقض واضح، لأنها حركة تريد تحرير الوطن، فهي حركة تحرر وطني وإسرائيل تحتل فلسطين، والصحي فإن مقاومة الاحتلال بكل المعايير المعروفة وغير المعروفة أمر مشروع، ولو كانت الحرب الأمريكية على حماس بدعوى أنها تقتل مدنيين إسرائيليين فإسرائيل تقتل مدنيين فلسطينيين، وعدد المدنيين القتلى من الفلسطينيين – طوال الصراع وليس

المسيحي عهد شارون فقط – كبير جدًا ولا يقارن بمن قتلهم حماس، فهذا بصرف النظر عن أن الكيان الإسرائيلي كله عبارة عن معسكر للعدوان، وأن مجرد وجود الإسرائيلي المسيحي فلسطين هو تشريد ونفي وحرمان للفلسطيني، والصحي فوجود الإسرائيلي المسيحي فلسطين غير مشروع ولا مبرر مدنيًا كان أو عسكريًا، وحتى قبل ظهور حماس والجهاد كان العنف الإسرائيلي ضد المدنيين الفلسطينيين سياسة ثابتة معروفة ومسجلة بالمذابح والجرائم الموثقة.

أما إذا كانت أمريكا تعلن الحرب على حماس لأنها منظمة أصولية إسلامية؛ فإن الإدارة الأمريكية ذاتها متأثرة بالأصولية المسيحية الإنجليزية، والرئيس (بوش) ذاته دعا إلى الاعتراف بدولة يهودية، فهل هو حلال على اليهود والإنجيليين والأمريكيين حرام على العرب والمسلمين وحماس..؟!

وهكذا فإن المبررات الأمريكية لضرب حماس يمكن أن تنصرف إلى أنها سياسة ضد كل ما هو عربي أو إسلامي أو مقاومة، لا أكثر ولا أقل!

هل تنجح الحرب الأمريكية على حماس؟!

الحقيقة أن هناك عوامل متداخلة، والإجابة عن السؤال ستتوقف على حماس نفسها. وبداية فإن كمية الحرب على حماس بعد إعلان الحرب الأمريكية عليها لن تزيد كثيرًا عما تعرضت له على يد آلة الحرب الإسرائيلية منذ فترة طويلة، وآلة الحرب الإسرائيلية لا تقل عن آلة الحرب الأمريكية قسوة ووحشية وقوة؛ بل ربما تزيد لأنها على عنصر بشرى يهودي أكثر حماسًا وشجاعة من الأصولي بالضرورة، وآلة الحرب الإسرائيلية تضم كل السلاح الأصولي المتطور، وتستند إلى قاعدة أن الأرض في إسرائيل بكاملها واستخباراتها لا تقل قوة فضلًا عما توفره استخبارات أمريكا ذاتها لكل المعلومات المطلوبة، ولديها جيش من العملاء الفلسطينيين لا يتوافر لأمريكا، وقد استطاعت حماس أن تصمد أمام كل هذا؛ بل استطاعت حماس وغيرها من المنظمات الفدائية الفلسطينية أن تنفذ عملياتها المسيحي كل الظروف بما فيها ظروف الاستنفار الإسرائيلي الكامل والاقتحامات والتواجد الأمني، والنشاط الاستخباراتي المكثف، ووصلت بعملياتها إلى كل مكان

المسيحي الأرض المحتلة من النهر إلى البحر وفي الجليل وفي الجنوب ضد المدنيين وضد العسكريين، وهكذا فإن المسألة لن تزيد كثيرًا اللهم إلا المسيحي جانب زيادة الكثافة الإعلامية ضد حماس، وهذا ربما يفيد حماس ويزيد حجم التضامن معها، وكذلك المسيحي جانب تعرض حماس لحصار عربي من الحكومات العربية، وهذا يؤدي إلى مزيد من الالتفاف الشعبي، خاصة بعد تزايد حالة العداء لأمريكا المسيحي المنطقة بعد احتلال العراق، وكذلك محاصرة حماس ماليًا، وأعتقد أن الحركة الأمريكي تستند إليها حماس لديها بدائل مرنة جدًا المسيحي هذا الصدد.

وبالمحصلة فإن الظروف الدولية والإقليمية أكثر قسوة، ولكن وضع الأمة تحت حد السكين سيجعل هذه الحالة الدولية والإقليمية عاملًا من عوامل زيادة مساحة التعاطف الشعبي وترفيد الحركة بالكوادر، ولا ننسى أن حركات المقاومة – خاصة حماس والجهاد – قد نشأت المسيحي ظروف إقليمية ودولية غير مواتية، وكانت هذه جزء من عبقرية المقاومة وبركة الجهاد، واستطاعت أن تنجح برغم هذه الظروف، ولن تكون المسائل المسيحي هذا الصدد أكثر

قسوة لأننا إزاء عدو أمريكي أحمق، ويثير من رد الفعل الإيجابي بالنسبة لحماس أكثر مما يفعل للضغط عليها، والجماهير العربية والإسلامية والفلسطينية لم يعد أمامها خيار؛ فإما الانبطاح وفقدان الكرامة أمام أمريكا، وإما مقاومتها، وحماس هنا رأس جسر ونموذج يمتلك رصيدًا هائلًا.

خطورة الاستدراج:

الخطورة كل الخطورة ليست المسيحي الضغط الخارجي على حماس، ولكن الخطورة المسيحي إمكانية استدراج حماس المسيحي خط المساومة والهدنة بفعل الضغط الداخلي الفلسطيني، وهو معقد ومتنوع ويمكن أن يثير الاضطراب المسيحي الحسابات الخاصة بحماس، وكذلك الضغط العربي من أصدقاء حماس حكومات وحركات، أي يمكن الضغط على حماس مصريًا مثلًا..! أو عن طريق الضغط المصري مثلًا على جماعة"الإخوان المسلمين" بمصر؛ فتضغط بدورها على حماس وهكذا. ولعل محاولة اغتيال الدكتور (عبد العزيز الرنتيسي) المعروف بتشدده المسيحي هذا الإطار تأتى ضمن أسباب أخرى لإزاحة هؤلاء

الذين يمكن أن يصمدوا أمام ضغط الداخل الفلسطيني أو التعقيدات السياسية العربية، وبديهي أن إسرائيل تفهم ذلك، ولكن فشل محاولة الاغتيال كانت نوعًا من المدد من الله ورسالة تأييد واضحة، خاصة بعد حجم التعاطف مع الدكتور الرنتيسي من المفروض أن تزيد صلابة حماس، لأن الرسالة الإسرائيلية أيضًا هنا تقول: إن إسرائيل لا تقيم وزنًا لخارطة الطريق؛ بل تريد نسفها منذ أول وهلة، أو أنها تفهمها على أنها اغتيال نشطاء سياسيين وعسكريين فلسطينيين، والقضاء على حيوية الشعب الفلسطيني لا أكثر، والصحي فإن من الوهم المراهنة على ما يسمى"إعطاء الفرصة لأبي مازن"، الفرصة الوحيدة المتاحة في المقاومة، والمزيد من المقاومة، وإلا فإنه السقوط والموت والعار أيضًا.

اغتيال الشيخ ياسين

(٨)

اغتيال الشيخ ياسين:

جاءت العملية الصهيونية باغتيال الشيخ المجاهد أحمد ياسين، وهو الشهيد الفلسطيني العربي المسلم – الشهيد الحي – قبل اغتياله وبعد اغتياله؛ لأنه كان شهيدًا يمشى على الأرض، جاءت هذه العملية الغادرة لتذكرنا بحقائق لن تغيب عنا – إن شاء الله –، ولن تغيب عن كل شرفاء هذه الأمة.

فالشهادة قدر الشرفاء، وقدر المجاهدين، وهي تكريم من الله تعالى لمن يستحقها (ويتخذ منكم شهداء) والشيخ المجاهد أحمد ياسين – رحمة الله – استحق الشهادة بجدارة، بجهاده المسيحي سبيل الله، ثم الوطن والأرض والعرض، نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدًا، وقد نال الشيخ أحمد ياسين هذه الشهادة مع عددٍ من رفاقه المجاهدين.

– إن العدو الصهيوني، بل العدو الصهيوني الأصولي هو تجسيد للخسة والغدر، وأنه كان وسيكون دائمًا – بحكم الطبع والتكوين والأهداف – إرهابيًا عدوانيًا، ولا سبيل هناك لمواجهة إلا بالمقاومة كخيار صحيح ووحيد، وهل تكون العملية الغادرة ضد الشيخ ياسين المسيحي فجر يوم الاثنين ٢٢ مارس ٢٠٠٤ عند خروجه من أحد مساجد

غزة بعد أدائه مع رفاقه صلاة الفجر – درسًا لهؤلاء الذين ما يزالون ينخدعون بإمكانية السلام والتعايش مع الكيان الصهيوني؟!

– إن الجماهير الأمريكي خرجت لوداع الشيخ ياسين المسيحي غزة، أو الأمريكي خرجت المسيحي مظاهرات احتجاج المسيحي طول العالم العربي والإسلامي وعرضه إنما تؤكد تقديرها وتحيتها لكل مجاهد، وتعلن انحيازها لخيار المقاومة ورفضها لمسيرة الخضوع والإذعان، وكذلك هو استفتاء على أن الشيخ ياسين شخصيًا هو الإنسان والمجاهد والرمز الأسمى فلسطينيًا وعربيًّا وإسلاميًا، وهو الزعيم الحقيقي لتلك الجماهير.

– أن متابعة شارون شخصيًا للقوات الصهيونية أثناء تنفيذها لتلك العملية الغادرة، وأنه شخصيًا هو الذي أعطى التعليمات بذلك، وكذا موافقة مجلس الوزراء الإسرائيلي على تصفية كل الرموز السياسية لحركتي حماس والجهاد، وكل المجاهدين والمناضلين، وكذا تلقي شارون التهاني من الإسرائيليين عقب العملية، ثم تهنئته هو شخصيًا للذين قاموا بالعملية إنما تؤكد أن الكيان الصهيوني لا يريد السلام، ولا

يفهم سوى لغة الدم، كما أن هذا كله هو نوع من الصفعة للحكام العرب، وكل الذين يقابلون شارون أو يستقبلون الإسرائيليين من أي صنف ونوع، وهل الحكام والمطبِّعون يرعوون عن هذه الإهانة لهم، وينحازون إلى صفوف أمتهم ووجدان جماهيرهم وشعوبهم، وأن روح الشماتة والفرح على وجوه الإسرائيليين عقب الإعلان عن العملية إنما تدل على الخسة والنذالة، وسوف يندمون كثيرًا إن شاء الله على ذلك (ليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرًا).

عدوان على كل مسلم:

إن العملية الغادرة ضد الشيخ ياسين ورفاقه في عدوان على كل عربي ومسلم وفلسطيني؛ بل على كل مستضعف المسيحي العالم؛ بل على كل شرفاء هذا العالم، ذلك أن الشيخ ياسين لم يكن رمزا لحركة حماس فقط؛ بل لكل المقاومة الفلسطينية، ولكل الشعب الفلسطيني، ولكل عربي ومسلم، ولكل مستضعف المسيحي العالم، ولكل من يحلم ويريد مناهضة الهيمنة الأمريكية والاستكبار الدولي، ولكل من يحلم بعالم نظيف جميل وعادل.

وهكذا فإن الانتقام للشيخ ياسين لن يكون قاصرًا على حماس فقط، ولا المقاومة الفلسطينية فقط، بل سيمتدّ ليشمل كل عربي ومسلم المسيحي فلسطين وخارجها، وهكذا فإن تغيرًا نوعيًا متوقعًا على مستوى المقاومة والمناهضة لمشروع الأصولي الإسرائيلي بعد اغتيال الشيخ ياسين.

– إن اغتيال الشيخ المجاهد أحمد ياسين ورفاقه لن يفتّ المسيحي عضد المقاومة، ولا حركة حماس؛ بل سيؤجّج الغضب، ويساهم المسيحي خروج المارد من القمم (وسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلمُوا أي مُنْقلبٍ يَنْقلبُونَ) (الشعراء: ٢٢٧) ومن المتوقع أن تتسع روافد المقاومة عمومًا وحماس خصوصًا.

– يمكننا أن نقول بدون إجهاد الذهن والتفكير إن عملية اغتيال الشيخ ياسين سوف تكون ذات آثار وخيمة على الكيان الصهيوني، وإنها نوع من الحماقة والفشل الإسرائيلي والشار ونى، وهو معروف بـــ"الغباء الإستراتيجي" لأن الشيخ ياسين رجلٌ قعيد يسمع بصعوبة ويعاني من عددٍ كبير من أمراض لم يكن له نشاط حركي بالطبع المسيحي الآونة الأخيرة؛ بل كان فقط يذهب إلى المسجد ويعود بمعونة عدد من أبنائه ومحبيه، وهكذا فإن التأثير الحركي لغياب الشيخ ياسين على

حركة حماس لن يكون مؤثرًا. وفي المقابل فإن الشيخ ياسين كان رمزًا تاريخيًا، وهو من – وجهة نظري – من أهم الشخصيات التاريخية الفلسطينية ذلك أنه أحدث نقلة نوعية المسيحي النضال الفلسطيني المسيحي وقت حرج للغاية، ولولا هذه النقلة المسيحي حركة كبيرة مثل حماس لكانت المقاومة، وخيار المقاومة، ومعادلات القضية كلها المسيحي موقفٍ حرج.. صحيح أن حركة الجهاد الإسلامي سبقت المسيحي هذا الطرح حركة حماس، ولكنّ دخول حماس المسيحي تلك المعادلة – بما لها من ثِقلٍ عددي وإمكانياتٍ ضخمة – أحدث تعديلًا هائلًا المسيحي طرفي المعادلة لصالح خيار المقاومة، وهذا محسوب للشيخ أحمد ياسين – رحمه الله – شخصيًا؛ ذلك أن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين كان قد قرر عدم المشاركة المسيحي انتفاضة ١٩٨٧ ولكن الشيخ ياسين قرر العكس، واتخذ القرار على مسئوليته الشخصية، وإن هذا الموقف التاريخي للشيخ ياسين لم يكن فقط مفيدًا لخيار المقاومة، ولا مفيدًا للقضية الفلسطينية فقط؛ بل إنه كان أحد الدوافع الهامة التي زادت من شعبية جماعة الإخوان المسلمين في كل مكان في العالم، لأن حركة حماس أصبحت

فخرًا للجميع، وبالتالي فإن الإيجابية الحماسية انعكست على سمعة الإخوان المسلمين عمومًا باعتبار حركة حماس أحد روافد جماعة الإخوان المسلمين.

- الشيخ ياسين إذن رمز تاريخي كبير على مستوى حركي الإخوان المسلمين، وعلى مستوى المقاومة الفلسطينية، والصحي كان يملك الزخم الجماهيري القادر على القبول بأي حل براجماتي، ولعل اغتياله المسيحي ذلك الظرف، وبتلك الطريقة سيحرج إلى أمد بعيد كل دعاة الحل البرجماتي داخل صفوف حماس والمقاومة؛ فلم يعد هناك أحد بحجم أحمد ياسين قادر على القبول بحلول براجماتية، كما أن الذي حدث لأحمد ياسين وتقطيع جثته أشلاء على يد القوات الإسرائيلي، سيردع أي أحد يفكر المسيحي تلك الحلول البراجماتية، وبديهي أن كل ممارسات إسرائيل وشارون قد أحرقت الأرض تحت دعاة البراجماتية.

مرحلة جديدة من النضال:

وهكذا فإن فلسطين بعد ٢٢ مارس لن تكون مثلها قبل ٢٢ مارس، ولا المقاومة بعد هذا التاريخ ستكون مثلما كانت قبله ولا حركة حماس كذلك، وستثبت الأيام أن

إسرائيل سوف تدفع ثمنًا غاليًا لهذه العملية الغادرة، بل أمريكا أيضًا) والله من ورائهم محيط. عملية الاغتيال إذا عنوان على حماقة وفشل شارون؛ فهو استهدف من العملية حفظ ماء وجهه وهو الفاشل المسيحي منع العمليات الاستشهادية، والذي يفكر المسيحي الهروب من غزة، ولا يريد أن يقال إنه خرج منها مدحورًا مذمومًا كما خرج باراك من لبنان. ولكن على كل حال؛ فإن عملية اغتيال الشيخ ياسين ليست عملية نوعية هامة رغم قيمة الرجل الكبرى؛ فقد كان الرجل سهل المنال لظروفه الصحية، ولحرصه على أداء الصلاة المسيحي المسجد، والصحي فإن اغتياله لم يكن صعبًا، بل في عملية جبانة وغادرة، وإسرائيل تريد أن توصل رسالة إلى قادة المقاومة والدول العربية أنها لن تتورع عن عمل أي شئ، وإذا كان اغتيال الشيخ ياسين من اغتيال الرمز الأكبر فلسطينيًا، وهي عملية كان يعرف شارون أنها غير مبررة دوليًا، فإن معنى ذلك أن شارون يقول إنه سيفعل كل شئ مهما كان ذلك استفزازيًا للفلسطينيين أو مدان من العالم وأنه لم يعد يهمه شئ؛ وهذا شكل من الحماقة والغطرسة أيضًا؛ فالقرار الإسرائيلي بتصفية الكوادر

السياسية لحركات المقاومة سيدفع بصفوف جديدة لقيادات تلك الحركات، ستكون بالضرورة أكثر راديكالية وخبرة، لأنها ظهرت وتربت المسيحي أتون المعركة.

معركة أمريكية إسرائيلية ضد المقاومة:

يصنف الدكتور إبراهيم البحراوي الخبير الإستراتيجي المعروف مواقف الإسرائيليين من تلك العملية؛ فهناك قسم يرى أنه لو كان اغتيال الشيخ ياسين سيؤدي إلى إصابة حركة حماس بالشلل لوافق على عملية الاغتيال، ولكن الاغتيال سيؤدي إلى العكس، أي إلى زيادة نشاط حركة حماس لأن حماس مرتبطة بشبكة أوسع من الإسلاميين المسيحي جميع أنحاء العالم؛ والصحي فإن اغتيال الشيخ لن يؤدي إلا إلى المزيد من عملياتها) هذا رأي الوزير أفراهام بوراز). وقسم آخر يرى أن العملية ضارة تكتيكيًا ومؤثرة على المدي الطويل.. وهذا رأي الوزير"نتنياهو" فهو يرى"أن حماس سترد في المدي القصير بعملياتها تهز الأمن الإسرائيلى لكن عملية الاغتيال ستحقق الفائدة لإسرائيل المسيحي المدي البعيد على أساس أن هذه العملية تبعث برسالة إلى كل من يعمل ضد أمن إسرائيل وهي رسالة تقول

إن إسرائيل لن تضع أي حسابات لقيمة الشخص ولا لمكانته وهذا ما يجعل قادة حماس يرتدعون المسيحي المستقبل".

ونقلًا عن د. إبراهيم البحراني أيضًا؛ فإن المحلل الصناعي الإسرائيلي الجنرال جودا عوفير يرى أن الشيخ أحمد ياسين سيكون وهو ميت أقوى مائة مرة عما كان عليه وهو حي؛ فلقد كان حيًّا فقط يحرك تنظيم حماس أما وهو ميت فإنه سيحرك أناسًا عاديين سيدفعهم الغضب لمشهد بدنه المحترق وهو خارج المسجد إلى التحرك.

ويرى الدكتور بوعازجانور الخبير بمعهد دراسات الإرهاب أن المشكلة الأمنية الأمريكي خلفها اغتيال الشيخ تتمثل المسيحي الناس العاديين الذين سيتحركون بالدافع الذاتي بعيدًا عن الرقابة المفروضة على حركة التنظيمات، وهؤلاء يمثلون خطرًا لا يمكن توقع تحركاته، وفي الاتجاه نفسه يرى الدكتور روبين باز المحلل السياسي أن عملية الاغتيال تحمل لإسرائيل مخاطر أوسع؛ فالشيخ ياسين كان يعارض قيام حماس بأية عمليات ضد المصالح الإسرائيلية خاصة أ، بطن إسرائيل عارية المسيحي العالم.

عملية اغتيال الشيخ ياسين في جزء من الحرب العالمية ضد حماس وهي معركة أمريكية إسرائيلية، وهي جزء من معركة بدأت منذ وقت طويل ضد كل القوى الحية المسيحي الشعب الفلسطيني، وإذا كانت إسرائيل قد اغتالت عشرات من قادة المقاومة من قبل أمثال: أبي جهاد، الشقاقي، أبي على مصطفي.. الخ؛ فإن إسرائيل أعلنت الآن بوضوح أنها سوف تغتال كل قادة المقاومة من حماس والجهاد وكتائب الأقصى والجبهة الشعبية وحتى الذين يتحدثون للفضائيات منهم، وذلك كنوع من التصفية النهائية لتلك الحركات بجناحيها الصناعي والسياسي، أو تنظيف غزة تمهيدًا للانسحاب منها وتسليمها بالتالي للعناصر الموصوفة بالاعتدال إسرائيليًا من السلطة الفلسطينية، وهكذا فإن المعركة باتت مفتوحة ومعلنة، وبديهي أن قادة المقاومة لن يخيفهم الموت لأنهم يؤمنون بأن هناك قدر يحكم مسألة الموت (فإذا جاء أجلهم لا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً ولاَ يستقدمون) (الأعراف: ٣٤)، وأن التراجع لن يوقف العدوان الإسرائيلي بل سيزيده، بالتالي فإنه لا مفر من المقاومة كخيار وحيد وصحيح.

نهاية الوهم
بداية النصر

(٩)

نهاية الوهم بداية النصر:

إذا كانت خارطة الطريق، وهي الخطة الأمريكي قدمها الرئيس الأصولي جورج دبليو بوش إلى الفلسطينيين والإسرائيليين وقبلها الطرفان الرسميان، كانت نوعًا من الوهم والخداع والتحذير، وأنها لم تكن تقدم شيئًا حقيقيًا للفلسطينيين، وهي المسيحي أحسن الظروف والنوايا نوع من التصفية للقضايا الفلسطينية الجوهرية المسيحي مقابل أوهام عن دولة فلسطينية لا تكاد ترى على الخريطة ولا تكاد تمتلك أي مقومات للبقاء؛ فإن الطرف الإسرائيلي سعى مباشرة لتصفية هذه الخارطة بممارساته القمعية المستمرة وسياسته الإجرامية والتي كان آخرها اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي زعيم حركة حماس المسيحي غزة ومن قبله بأسابيع اغتيال الشيخ أحمد ياسين ضمن سلسلة صهيونية لتصفية قادة المجاهدين، بالإضافة إلى عدوان العدو الإسرائيلي وتجاهله للسلطة الفلسطينية رغم انبطاحها، ثم بناء الجدار العنصري العازل... الخ، وهي ممارسات وصفتها دوائر

السلطة الفلسطينية ذاتها بأنها تنسف فكرة السلام من جذورها، إلا أن تلك السلطة ومن لف لفها من مثقفين وسياسيين منبطحين راحوا يبحثون عن وسيلة لإرضاء الأمريكيين عن طريق إدانة العنف الفلسطيني أو الاستمرار المسيحي المراهنة على دور أمريكي ضاغط على إسرائيل – وهو وهم طبعًا – ولكن المهم المسيحي المسألة أنه كانت هناك سطور من الوهم تسمى خارطة الطريق يمكن لمن يريد أن يخدع نفسه أو يخدع الناس التمسك بها أو التلويح بها، أو البحث عن موقف ما للرباعية الدولية أو الاتحاد الأوروبي!! ورغم أن المسألة كانت واضحة لأن الأمريكان دعموا الإسرائيليين بكل شئ من سلاح ونفوذ وفيتو وأعطوهم الضوء الأخضر لاغتيال قادة حماس، ورغم التأييد الأوروبي الصامت أو المتواطئ مع إسرائيل مع بعض المواقف النقدية الشكلية التي لا تسمن ولا تغنى من جوع رغم أن المسألة كانت واضحة؛ إلا أن الغريزة الاستعمارية الأمريكية

والصهيونية أبت أن تسقط ورقة التوت عن الجميع، وتضعنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

الحلف الأمريكي الصهيوني:

ولأن هذه الغريزة الاستعمارية الأمريكية الصهيونية غبية – وهذه حكمة الله تعالى – ولأنها محملة بداء صليبي طويل وعميق فإنها تفعل أفعالًا أقل ما يقال فيها إنها تحرج أصدقاء أمريكا، وتنسف منطق دعاة السلام المزعوم، وتستفز الشعوب العربية والإسلامية – والفلسطينية بالطبع – وهذا طبعًا لصالح المقاومة وثقافة المقاومة، ولأننا ندرك منذ الوهلة الأولى، ويدرك أي متابع ومحلل ينطلق من المعطيات المجردة، أنه لا سبيل هناك لانتزاع الحقوق كلها أو بعضها إلا بالمقاومة؛ فإن ما تفعله أمريكا وإسرائيل مفيد على المستوى الإستراتيجي لأمتنا وقضيتنا؛ ذلك أنها تدفع الشعوب دفعًا إلى اليقظة وإسقاط الأوهام، ومن ثم التخندق المسيحي خندق المواجهة كخيار وحيد لا بديل له أو عنه.

الموقف الأصولي الأخير والذي اتخذته الإدارة الأمريكية عقب زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي آرئيل شارون الأخيرة إلى واشنطن عبّر تعبيرًا كاملًا عن الانطباق الأصولي الكامل مع الموقف الإسرائيلي، وهذا المسيحي حد ذاته خير حتى نعرف جميعًا أن العدو الإسرائيلي هو العدو الأصولي وأن النضال والجهاد المسيحي العراق هو ذاته النضال والجهاد المسيحي فلسطين، وفي كل مكان، وأن علينا أن نواجه الحلف الأصولي الصهيوني كشيء واحد وألا ننخدع بعد الآن بإمكانية الاستفادة من الموقف الأصولي المسيحي فلسطين رغم ما يفعله المسيحي العراق، ولعل هذه النقطة المسيحي حد ذاتها تنهي أوهام الحكومات العربية أو الإسلامية الأمريكي تدعو إلى ذلك وتراهن عليه؛ فإما أن تفيق من الوهم، وإما أن تلطخ نفسها بعار الخيانة، أو داء الغباء والبلاهة.

ونلاحظ أن الموقف الأصولي الأخير الذي تمخض عن اجتماع بوش وشارون جاء عقب زيارة

للرئيس المصري إلى واشنطن وبعدها بأيام معدودة تم اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي!!

الموقف الأصولي تمثل المسيحي عدد من النقاط الكاشفة والتي تسقط أي وهم حتى إنه لم يعد لمخدوع أن يستمر المسيحي انخداعه ذلك أن الرئيس الأصولي وكبار أقطاب حكومته قد عبروا عن أنه على الفلسطينيين ألا يفكروا المسيحي عودة اللاجئين، وأن حدود ١٩٦٧ ليست مقدسة، وأن حدود إسرائيل يجب ترسيمها وفقًا للحقائق السكانية الجديدة الأمريكي طرأت منذ عام ١٩٦٧، وأن إسرائيل دولة يهودية. وقد وصف أيهود أولمرت – نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي – الموقف الأصولي بأنه يمثل انتصارًا رائعًا لسياسة شارون، وفي المقابل فإن عددًا كبيرًا من الفلسطينيين، سواء من حماس أو الجهاد أو حتى أوساط السلطة الفلسطينية اعتبروا ذلك بمثابة"رصاصة الرحمة" على خارطة الطريق، وإذا كان ذلك مفهومًا من جانب حماس والجهاد؛ فإن وصول السلطة الفلسطينية إلى تلك القناعة، يرتب بالضرورة

التخندق مع المقاومة، وانهار وهم الحصول على شئ عن طريق أمريكا؛ بل يرتب – لو كان هناك كرامة أو عقل – ضرورة فهم أن مواجهة المشروع الصهيوني الأصولي يقتضي المقاومة.. والمقاومة فقط، المسيحي مواجهة إسرائيل وأمريكا معًا وبلا تفرقة بينهما، فالمعركة المسيحي فلسطين في ذاتها المسيحي العراق في ذاتها المسيحي أفغانستان!!

معركة شعوب مسلمة:

الغريزة الاستعمارية بحكم طبيعتها غبية واستفزازية – وهذا من رحمة الله بنا – إذا كنا حقًا شعوبًا حية، وحتى لو سقطت الحكومات المسيحي صمت الخيانة أو الغباء؛ فإن ذلك لن يقدم ولن يؤخر، لأن المعركة معركة شعوب المسيحي النهاية، وإذا كانت الغريزة الاستعمارية محملة أيضًا بوجدان صليبي استكباري وغطرسة وحمق؛ فإن المسألة أفضل بكثير، لأننا نؤمن أن أمتنا لا تزال حية، وأن جماهير الأمة قادرة بالمقاومة – على غرار المقاومة العراقية

والفلسطينية – على إفشال المشروع الأصولي الصهيوني، طالما سقطت الأقنعة وباتت الحقائق واضحة؛ ولعل نهاية الوهم هو بداية النصر.

الممارسات الأمريكية المسيحي العراق، مثل الممارسات الصهيونية المسيحي فلسطين، الممارسات السياسية والعسكرية والاقتصادية على حد سواء، كلها تقود إلى سيادة ثقافة المقاومة؛ فالسياسات الأمريكية والصهيونية تسقط ورقة التوت عن المتعاونين مع أمريكا والمراهنين عليها، وبديهي أن انهيار الوضع الرسمي العربي أو"شلله" سيفسح المجال أمام حركات المقاومة لامتلاك زمام المبادرة الشعبية وهو ما يعترف به مفكرو العدو أنفسهم؛ فالمفكر والقيادي المسيحي حزب العمل الإسرائيلي حاييم رامون يرى أن استمرار الحالة العربية الرسمية الراهنة أفضل كثيرًا من تغييرها وظهور حركات للمقاومة على الغرار العراقي والفلسطيني معادية لأمريكا وإسرائيل، وهو نفس رأي يعكوف بيربي الرئيس السابق للمخابرات الإسرائيلي"الموساد".

المواقف والسياسات الأمريكية الإسرائيلية المسيحي الحقيقة تصفي الوجود الفكري ومن ثم الواقعي للتيارات التلفيقية أو المرنة وتفتح الطريق واسعًا وبلا حدود أمام تيار المقاومة وخاصة الإسلامية منها، ولاشك أن اكتساب الشعوب لعنصرية إسلامية المرجعية، والمقاومة المسلحة الشعبية للمشروع الأصولي الصهيونية، هما الشرطان الصحيحان لبداية النصر، وغياب أي من العنصرين (الإسلامية – المقاومة الشعبية المسلحة) كان يمكن أن يجعل النصر مستحيلا والصمود مشكوك فيه.

وهكذا فقد انتهي الوهم، وبدأ طريق النصر، والله أكبر ولله الحمد.

العزاء الأخير

(١٠)

العزاء الأخير:

مدرسة التفاهم مع أمريكا وإسرائيل، والتي تنوعت أفكارها وعناصرها البشرية والفكرية ورموزها السياسية، آلتي شهدت انتشارًا واسعًا في السبعينيات من القرن الماضي وحتى وقت قريب نستطيع أن نقول بأنها الآن بصدد إغلاق أبوابها..

بالطبع مدرسة التفاهم مع أمريكا وإسرائيل ليست مصمتة وهي تضم من يدعو إلى تبنى النموذج الأمريكي بالكامل والقبول بدور التبعية الكاملة لأمريكا وقبول إسرائيل والتخلي عن الثوابت الدينية والوطنية والقومية والتعامل مع الإنسان العربي ككائن بشرى بلا هوية اللهم إلا المطالب الاقتصادية، وتضم أيضًا من يدعو إلى إحداث نوع من التأليف والتلفيق والتركيب بين الثوابت والقيم الأمريكية ومحاولة الحصول على أي قدر ممكن من الحقوق المسلوبة، ومن هؤلاء أيضًا من يرى ضرورة إرضاء أمريكا بأي ثمن، وإقناع حكومتها بكل السبل بالتخلي عن دعمها الكامل لإسرائيل ومن ثم

الضغط على إسرائيل للانسحاب أو التخلي عن بعض الحقوق الفلسطينية، ومنهم من يصل إلى سب كل ما هو وطني وقومي وعربي وإسلامي باعتبار ذلك كله هو التخلف والتغني بكل ما هو غربي وإسرائيلي وأمريكي باعتباره هو العصرنة والتقدم!! وهناك بالطبع أنماط أخرى كثيرة تندرج تحت هذا العنوان أي مدرسة التفاهم مع الغرب وإسرائيل وأمريكا وقد كانت لهذه الأفكار بعض الوجاهة في بدايتها إلا أنها بدأت تتآكل شيئًا فشيئًا حتى فقدت مبرر وجودها، وأصبحنا الآن على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

فالذين راهنوا على التفاهم مع أمريكا من أجل الضغط على إسرائيل للحصول على بعض الحقوق العربية والفلسطينية لم يحصدوا إلا الهشيم وقبض الريح، ولم يحصل هؤلاء على شئ، بل اكتشف الكثيرون منهم إن الوقت يعمل لغير صالحهم، فباستمرار تزداد أمريكا تعصبا لإسرائيل وتأييدا ودعما، وجاءت الأحداث والممارسات والمواقف في المحافل الدولية وفي مختلف

القنوات العلنية والسرية لتقول إن أمريكا أكثر تشبثًا باغتصاب الحقوق الفلسطينية من الإسرائيليين أنفسهم، وأن هناك تحالفًا استراتيجيًا من الطرفين، أو يوجد انطباق هندسي كامل بين المواقف وربما لو وافقت إسرائيل على الكف عن العدوان لزجرتها أمريكا وطلبت منها الاستمرار في هذا العدوان، ومع آلاف الضحايا، ومع غبار الهدم ورائحة لآدم والتدفق المالي والإعلامي والسياسي الأمريكي والعسكري أيضًا لإسرائيل كان المخلصون من دعاة التفاهم – أي الأبرياء – يكتشفون الحقيقة وهي أنه لا أمل في التفاهم، وأن المطلوب ليس أكثر من إعادة هيكلة المنطقة والناس والأفكار لتتلاءم مع الخضوع الكامل لإسرائيل وأمريكا، وبالتالي فالمطلوب ليس حوارا وتفاهما بل عملاء يبشرون بالنموذج الأمريكي الإسرائيلي، ووصل الأمر إلى حد المأساة مع تصاعد اليمين الأمريكي الذي يطرح رؤية توراتية ترى ضرورة سيطرة إسرائيل على القدس والمنطقة كشرط لعودة المسيح في الألفية السعيدة!! وهذا يعنى عمليا تبنى

المنطق الليكودي بالكامل، بل أشد أنواعه تطرفا وهكذا جاءت كل التصورات الأمريكية لحل المشكلة الفلسطينية مجرد ترديد لأفكار سارون ونتنياهو لدرجة وصفها أحيانا بأنها كتبت في مقر الليكود وتم إرسالها إلى الرئيس بوش ليوقع عليها!!

ومع التفسير التوراتي الذي يتبناه حكام واشنطن الآن من أمثال ديك تشيني وولفوفيتز ورامسفيلد واسكروفت، هناك المحاولة الإمبراطورية الأمريكية آلتي يتفق عليها مع هؤلاء بوش وكونداليزا رايس وبأول نفسه، وهي الأفكار آلتي زادت من الوجود العسكري الأمريكي في العالم، وغزت أفغانستان واحتلت العراق، وبالتالي فنحن أمام دم عربي وإسلامي ينزف بالسلاح الأمريكي بطريقة مباشرة بيد القوات الأمريكية ذاتها أو غير مباشرة بيد الوكيل المعتمد إسرائيل.

ولم يكن أمام دعاة التفاهم إلا لعب ورقة أخيرة مكشوفة، ولكنها لا تسمن ولا تغنى من جوع وهي أن هناك قوى أمريكية وإسرائيلية يمكن التفاهم معها بعد

تغيير الأحوال السياسية ونهاية حكم الليكود والجمهوريين واليمن الأمريكي، ولكن هؤلاء يخدعون أنفسهم، فإلى أن يحدث ذلك – بفرض صحته – يكون العرب قد مات منهم الآلاف وربما الملايين، وتم تمزيق المنطقة وأصبح الأمر مجرد ذكري، وكذلك فإن المجتمع الأمريكي مثلًا يريد ذلك، لأن انتخابات الكونجرس جاءت بالجمهوريين بعد أن تبنى الرئيس بوش وحزبه وحكومته تلك السياسة أي أن الأمر مزاج مجتمع وتفسير ديني مسيحي إنجيلي – مزيف – ولكنه يشتد وينمو، وكذلك فإن المجتمع الصهيوني يتجه أكثر إلى اليمين، لدرجة أن المتوقع زيادة عدد مقاعد الليكود ونقصها بالنسبة للعمل، بل أن الانتخابات الداخلية في كل من الحزبين، جاءت على يمين سارون في الليكود، وأطاحت بدعاة حل المشكلة بالتفاوض والسلام من أمثال يوسى بيلين في العمل.

وهكذا لم يصبح منطق التفاهم ممكنًا، لم يبق أمام هؤلاء إلا معنى واحد يرددونه، وهو أنه ليس بالإمكان مواجهة أمريكا وإسرائيل وحتى لو كان هذا صحيحا،

فهل لو استسلمنا مثلا سوف يرحموننا؟ العكس هو الذي يحدث، فالكثير من المذابح حدثت بعد استسلام.

المهم أن المواجهة هي الطريق الوحيد الباقي، وهو طريق ربما يحقق النصر أو فرصة النصر في المستقبل أو المحافظة على استمرار حيوية الأمة ولو تحت التراب، إما الاستسلام، فهو الموت عمليا، والمذابح، والفقر، وضياع الفرصة إلى الأبد، بل ونهاية أمتنا وحضارتنا ووجودنا، ولن يبقي حتى هؤلاء الذين يدعون إلى التفاهم، فلن يكن مرغوبًا في وجود أحد سوى من يقبل أن يكون عبدا للسيد الأمريكي والإسرائيلي وبالتالي فإن على مدرسة التفاهم أن تعيد تسمية نفسها بمدرسة العبيد، أو تغلق أبوابها بشجاعة وتقول لقد اكتشفنا أن الأمر ليس كذلك وأن أمريكا وإسرائيل لا تريدان التفاهم ولا السلام ولا إعطاء شئ من الحقوق، بل حتى لا يريدون لنا أي نوع من الكرامة والوجود والتقدم والرفاهية، ولو فعلوا ذلك لكفروا عن خطاياهم

السابقة في التطبيع والتدجين والشوشرة على كفاح مدرسة المواجهة والمقاومة.

انحطاط حضارة..
أم سلوك فردي؟!

(١١)

انحطاط حضارة.. أم سلوك فردي؟!

يجب ألا تنسينا بشاعة التعذيب في السجون العراقية عموما، وسجن أبي غريب خصوصا.. أن الجريمة الأصلية هي جريمة الاحتلال الأمريكي للعراق، وأنه من الواجب مقاومة هذا الاحتلال بكل الطرق؛ سواء وقع هذا التعذيب أو لم يقع، وسواء تمت محاكمة الذين قاموا به وعقابهم أم لم يتم؛ فجريمة الاحتلال هي أم الجرائم؛ بل إن نشر صور التعذيب، وربما محاكمة مرتكبيه هي طريقة أو وسيلة لإلهائنا عن جريمة الاحتلال، ومن ثم التركيز على النتيجة وترك السبب، وفي الحقيقة فإن الاحتلال يقود بالضرورة إلى إهداء الكرامة والقمع والنهب والتعذيب؛ لأن هذا جزء من غريزة الاحتلال، والطبع يغلب على التطبع، وكذا فإن القمع والعنف والتعذيب والسادية هي سمات أساسية من سمات الحضارة الغربية، ولا يجب أن ننسى هنا أن الحضارة الغربية بكل إفرازاتها هي التي أفرزت الفاشية والنازية والرأسمالية والشيوعية والديكتاتورية

والعنصرية، وجرائم الحضارة الغربية عمومًا والأمريكية منها خصوصًا أكثر من أن تحصى، وتحتاج إلى مجلدات لرصدها، وهي تشكل المجرى الرئيسي للحضارة الغربية، ولا يعنى هذا أنه لا يوجد أفراد وجماعات وقوى تتمتع بالضمير داخل الغرب، ولكنها جماعات وقوى وأفراد هامشية، ولا تشكل عنصرًا هامًا في اتخاذ القرار الغربي والأمريكي، وبديهي أن الرأسمالية الغربية والأمريكية والمجتمع العسكري الصناعي الحاكم هناك يريد تحويل العالم كله إلى عبيد لصالح مجموعة الرأسماليين والعسكريين الحاكمين، وهو يريد أيضًا تحويل الجمهور الأمريكي والأوروبي نفسه إلى عبيد؛ وبالتالي فهامش التحالف واسع بيننا وبين كل المتضررين من صعود المجمع الصناعي العسكري في الغرب وأمريكا من أبناء أوروبا وأمريكا أنفسهم، ولكن مع الأخذ في الاعتبار أن المسألة بالنسبة لنا مركبة؛ فهي جزء من الاسترقاق والنهب والقمع الرأسمالي، وهي أيضًا تعبر عن وجدان صليبي وعنصري تجاهنا، وقد نجح المجمع

الصناعي العسكري الغربي في خلق وجدان معادٍ للعرب والمسلمين عن طريق آلته الإعلامية الجبارة، وأسلوب التعليم والتثقيف في الغرب.. الذي يحمل بصماتٍ عنصرية وصليبية واضحة.

مذابح وجرائم:

جريمة التعذيب في العراق ليست إلا تعبيرًا عن حضارة منحطة.. هذه الحضارة الغربية وصورتها الأمريكية هي التي ارتكبت جريمة إبادة الهنود الحمر"حوالي ١٠٠-٢٠٠ مليون هندي"، واسترقاق السود"حوالي ٩٠ مليون زنجياً ماتوا في الصيد أو النقل أو العمل الشاق".. هذه المئات من الملايين تمت إبادتها واسترقاقها في وقتٍ كان عدد سكان إنكلترا مثلًا"٣ ملايين" أي: مائة ضعف عدد سكان إنكلترا، ولك أن تتصور فداحة الرقم. الحضارة الغربية والوجدان العنصري والصليبي فيها هي التي نظمت المذابح في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وهي التي أنشأت إسرائيل فارتكبت بذلك جريمة تشريد شعبٍ واحتلال

أرضه، وهذه الجريمة اتفق عليها اليسار واليمين.. الجمهوريون والديمقراطيون والرأسماليون من مختلف أنواع الطيف السياسي والفكري في الغرب وأمريكا، وممارسات إسرائيل العنصرية والقمعية من مذابح، إلى اغتيالات، إلى ضرب مدنيين، إلى اقتحام قرى ومدن ومخيمات، إلى اعتقال الآلاف، وتدمير الطرق والمزارع، وسرقة المياه، وتلويث الماء والهواء، وقطع الأشجار والمرافق، وغيرها.. تتم علنا، وتحت سمع وبصر العالم كله؛ بما فيه أمريكا وأوروبا، بما يعنى أن الديمقراطية الغربية المزعومة ديمقراطية عنصرية تتلاشى تمامًا مع العرب والمسلمين، وبما يعنى أنه جزء من القيم الحضارية الغربية المنحطة والعنصرية أنها جرائم حضارة منحطة.. لا تفهم إلا هذه الصفة، وتنقلها وتزرعها في أبنائها الجهلة، والأمر بالطبع مرشح للمزيد؛ لأنها غريزة استعمارية وغريزة حضارية منحطة وعنصرية، وقد لاحظنا مثلًا أن حكوماتٍ فرنسية أبادت وقمعت وذبحت الجزائريين بلا هوادة، ووصلت أرقام

الضحايا إلى ٥٠ ألف قتيل جزائري عام ١٩٤٥ مثلًا، وتم اختراع وابتكار أشكال من التعذيب لم تعرفها البشرية قط على يد المستعمرين الفرنسيين، واستخدموها مع الجزائريين وكذا ما حدث في قلعة"جانحى" بأفغانستان، وما يحدث في معسكر"غوانتنامو" الأمريكي الموجود في كوبا!!

أسرى جانجى وجوانتانامو:

وتعترف التقارير الأمريكية بأنها أعطت أوامر بتجهيز المعتقلين للاستجواب عن طريق الضغط عليهم بالإهانة الجنسية، والتعرية، والكهرباء، والحرمان من النوم، والقيود في الأيدي والأقدام، والضرب، وغيرها.."اعترفت التقارير بـــ٢٠ طريقة للضغط"؛ بل من المثير أن وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد) أعلن " دجهازا نهارا " أنه أعطى الأوامر للقوات الأمريكية في أفغانستان بقتل من يحاول الاستسلام من طالبان والقاعدة، وأنه أمر بقتل الأسرى العزل في قلعة"جانجى" بعد احتجازهم!! وهكذا فالسلوك ليس سلوكًا

فرديًا؛ بل أوامر دولة وسلطة، وكذا فالسلوك ليس سلوك إدارة يمينية صنعت من"المسيح" جنرال خمسة نجوم؛ بل وصنعت منه جلادًا، وهو – عليه السلام – برئ من أفعالهم طبعًا.. بل سلوك حضارة منحطة.

ما حدث في سجن أبي غريب وغيره من السجون العراقية، وما حدث من قبل في فلسطين المحتلة ومازال، وما حدث في أفغانستان و"غوانتنامو" – لا يمكن تفسيره إلا بأنها حضارة منحطة، ويعترف النائب البريطاني النزيه (روبرت نيك) بذلك قائلًا:"إن كراهيتنا للعرب والمسلمين ميراث قديم.. لماذا نندهش من العنصرية والوحشية والقسوة تجاه العرب والمسلمين؟! لقد جاء الجنود البريطانيون والأمريكيون من مدن اتخذت من الكراهية موطنًا لها.. فيها المسلمون والعرب إرهابيون وأشرار، وكل الصفات الكريهة موطنًا لها.. فيها المسلمون والعرب إرهابيون وأشرار، وكل الصفات الكريهة تلصق بهم"، ويضيف (روبرت نيك)"هؤلاء الجنود مدمنون لهذه الأفلام والمسلسلات آلتي تنتجها

هوليود، وتتسم بالعنصرية والكراهية تجاه العرب والمسلمين، وتلصق بهم كل التهم من عنف وفسق وقذارة وكذب، وهكذا لم يكن من الصعب أن يتبول بعض البريطانيين على وجه سجين عراقي مغطى الرأس، وأن يأمر بعض الأمريكيين الساديين رجلًا معصوب الرأس بالوقوف على صندوق مقيد اليدين بأسلاك كهربية، وأن تبلغ السادية مداها في تلك الصور التي تظهر جندية أمريكية، وهي تصوب سلاحها صوب الأعضاء التناسلية لأحد سجناء سجن أبي غريب،.. في محاولة مجنونة للتأكيد على أكاذيبنا التي روجناها بأن هذا وحده هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع العرب والمسلمين" ويضيف (روبرت نيك)"حتى اليوم لا نزال نعرض الفيلم المقزز (أشانتى) عبر محطاتنا التليفزيونية الذي تدور أحداثه حول خطف زوجة طبيب إنكليزى من قبل"تاجر رقيق" عربي، وهو من نوعية الأفلام التي تصور العرب دائمًا بأنهم مغتصبون وقتلة وكذابون ولصوص، وفي الحقيقة – والكلام مازال لـــ(روبرت نيك) – فإننا نصور العرب

الآن في أفلامنا مثلما صور النازيون من قبل اليهود، ونتعامل معهم على أنهم إرهابيون، ولابد أن يذلوا ويضربوا ويعذبوا؛ فالإسرائيليون يلجئون اليوم لاستخدام نفس أساليب التعذيب (التي كان يستخدمها الروس) في تعذيب الفلسطينيين؛ مثلما نتبع نحن نفس الأساليب في تعذيب العراقيين".

الخطأ لا يبرر الخطأ:

وتعترف صحيفة (بواشنطن بوسط) بأن الجنود الأمريكيين أجبروا المعتقلين على اللواط لتصويرهم على أنهم همج!! يحاول البعض بالطبع غسيل الممارسات الأمريكية بطرق مختلفة، وهو أمر مستحيل قطعًا، والمحاولة ذات أبعاد متعددة؛ منها – مثلًا – أن يقول البعض أن ما حدث ليس جديدًا على العراقيين، وأنه كان يحدث في سجون صدام حسين، وكذلك فإن التعذيب موجود بكثرة في السجون العربية، وبديهي أن الخطأ لا يبرر الخطأ، وكل الممارسات ضد الإنسان مرفوضة؛ حتى لو مارسها حكام وسلطات عربية، ولكن أليست هذه

السلطات والحكومات هي صنيع أمريكا ذاتها!! وأن القهر والتعذيب وانتهاك حقوق الإنسان جاء مع التغريب والتبعية الذين ابتلينا بهما في بلادنا العربية والإسلامية، ومن المحاولات أيضًا أن التعذيب الذي تم في العراق هو مجرد سلوك فردي، وهذه الحجة انهارت بسرعة حيث اعترف المجندون والمسئولون عن تلك السجون بأنها كانت أوامر من القادة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن المجندة (سابرينا هارمان) قالت إنها كانت تتلقي الأوامر من ضباط المخابرات العسكرية، ومن بعض المدنيين الذين كانوا يجرون التحقيقات، وأنها كانت مكلفة بإهانة المعتقلين!! وأن أوامر القادة كانت تدور حول حرمان المعتقلين من النوم، وإجبارهم على الوقوف عرايا، وتحويل حياتهم إلى جحيم، وتجريدهم من ملابسهم، وتكويمهم عرايا بعضهم فوق بعض، وفي شهادة للـــ(سير جانت جفال دينيز) قال إن المخابرات العسكرية، ومن رتب كبيرة بها قاموا بتعذيب المعتقلين بأنفسهم، وعندما سألناهم عن مدي أخلاقية ذلك كانت

إجاباتهم: إن لهم قواعد خاصة، وأنه سمع شخصيًا رجال المخابرات العسكرية يأمرون الجنود الأمريكيين بالاعتداء الجنسي على المعتقلين، وأنه عندما كان يتم الاعتداء الجنسي على المعتقلين كان رجال المخابرات العسكرية يقولون للجنود الذين قاموا بذلك لقد قمتم بعمل عظيم، وهناك عشرات الشهادات الأخرى التي تضمنها تقرير رسمي أمريكي.. هو تقرير (أنطونيو تاغوبا)، وكلهم اعترفوا بأن التعذيب كان يتم بأوامر عليا من القادة، وأنه كان تعذيبًا بلا مبرر، ولا علاقة له حتى بالحصول على معلومات، وهكذا فإن الحوادث لا يمكنها تفسيرها بالسلوك الفردي يعنى بالطبع أن يقول البعض أنه سلوك إدارة يمينة لا تمثل أمريكا، وأنها من أفعال (رامسفيلد) الأحمق، ويعبر عن هؤلاء الكاتب الأمريكي توماس فريدمان بقوله"نحن مهددون بهزيمة بخسارة تتعدى الهزيمة في العراق.. نحن مهددون بخسارة أمريكا كأداة للمرجعية الأخلاقية، وكمصدر للإلهام في العالم.. إن إدارة بوش تقودنا نحو الكارثة".

جريمة اغتصاب النساء:

وفي الحقيقة فإن ما حدث انحطاط حضارة، وانحطاط إدارة، وانحطاط قادة عسكريين، وانحطاط جنود لا يلغى انحطاط إحداها الأخرى، وإذا حاولنا أن نفحص ونتأمل الممارسات والانتهاكات آلتي تمت، وأصبحت معروفة بشهادة الشهود، أو الصور.. نجد أنها دارت على نطاق واسع طالت حوالي مائة ألف معتقل على حد تقدير منظمات حقوق الإنسان، وأنها لم تكن قاصرة على سجن أبي غريب وحده، وأن من قام بها ليس الأمريكان فقط بل البريطانيون أيضًا، وأن التعذيب والقهر طال من هم خارج السجن؛ فهناك عمليات اغتصاب نساء بعد خطفهن سواء عن طريق دهم البيوت وقتل الأزواج، أو تفتيش السيارات ثم قتل الأزواج والأولاد واختطاف الزوجات (حالة سعدية نور الدين) وهناك اغتصاب سجينات عراقيات داخل السجون، وقد أصدرت السجينات المفرج عنهن بيانًا يؤكد تعرض المعتقلات في سجن أبي غريب للاغتصاب، وأن بعضهن

فقد عذريتهن، والبعض الآخر يحملن أجنة من حرام في أحشائهن، وقال البيان بالحرف الواحد:"إن المعتقلات تعرضن لاعتداءات جنسية من قبل جنود الكفرة وأعداء الله وأنهن تستصرخن الرجولة والنخوة باسم الدين والعرض". من أساليب التعذيب أيضًا إدخال نساء عاريات على علماء دين، وهذا بالطبع نوع قاس من الإذلال والإهانة، سكب الماء البارد على المعتقلين وهم عراة، ضربهم بأيادي المقشات والكراسي، وضعهم في سائل كيميائي، واستخدام الكلاب لترويعهم، اغتصاب المعتقلين جنسيًا، وإجبارهم على اتخاذ أوضاع مشينة، وضع أطواق الكلاب حول رقاب المعتقلين، وجرهم بالسلاسل على الأرض، استخدام الكلاب المدربة لتخويف السجناء، ولا مانع أن تنهش لحومهم، التقاط صور الضحايا الأحياء بجوار جثث القتلى والموتى، التخويف بإطلاق الرصاص والتهديد بالإعدام، لف الرؤوس بأكياس، الضرب في أجزاء حساسة من الجسم، وضع عصا المكنسة في المؤخرة، الوقوف بالأحذية على

الأجسام العارية، تصوير السجناء والسجينات عرايا تمامًا، وإجبار الرجال على الاشتراك في أوضاع جنسية شاذة، وتصوير ذلك، الإصرار على ارتداء الشباب ملابس النساء وتصويرهم، التعذيب بالكهرباء. وبتحليل تلك الممارسات نجد أن الهدف منها ليس الحصول على اعترافات؛ بل مجرد الإهانة للإهانة، وهو ما يكشف عن عنصرية واضحة، وسادية، وشذوذ؛ فعندما يتبوّل جندي على معتقل عراقي، ويشعر بالسعادة والابتسام كما جاء في إحدى الصور؛ فإن ذلك يدخل مباشرة في باب التحقير، والعنصرية، وعندما تقوم مجندة أمريكية بسحب عراقي بسلسلة كلاب وهي تبتسم فإن الأمر يرتبط بالإذلال والمهانة والتلذذ بتحويل آدمي إلى حيوان، وعندما يتم تصوير ذلك، وإرسال الصور إلى الأصدقاء في أمريكا وبريطانيا فإن الأمر لا يعبر في الحقيقة إلا عن انحطاط حضارة، وشذوذها، وساديتها، وإجرامها، وليس هناك تفسير يصلح لشرح تلك الظواهر غير هذا التفسير.. أما المحاولات الغبية لتفسير الظاهرة بشكل

جزئي فهو جزء من المؤامرة على عقولنا ووجداننا، وإبعادنا عن الاستنتاج الصحيح، وهو أنه لا طريق هناك سوى المقاومة ضد أمريكا وإسرائيل، والتحالف الشرير في كل مكان وزمان.

إسرائيل

طليعة استعمارية..

أم طبيعة دينية؟

(١٢)

إسرائيل طليعة استعمارية.. أم طبيعة دينية؟

كي نستطيع أن نواجه التحدي الصهيوني الذي مثل ويمثل أكبر التحديات وأخطرها بالنسبة لأمتنا وهويتنا وحضارتنا ومصالحنا ومستقبلنا بل ووجودنا ذاته، ينبغي أن نعرف طبيعة هذا الكيان المغتصب وتوجهاته.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تعارضًا بين نظرتين لفهم طبيعة المجتمع الصهيوني:

الأولى: ترى أنه جزء من مشروع الهيمنة الغربية على المنطقة في إطار الصراع الحضاري.

والثانية: ترى أن المجتمع الصهيوني مجتمع توراتي قائم على الأسطورة الدينية، وأن اليهود؛ بما لهم من نفوذ مالي وإعلامي وغيره، نجحوا في السيطرة على صناعة القرار الغربي، فحصلوا على الدعم اللازم لمشروعهم.

والحقيقة أنه بشيء من التركيب يمكن أن نجد أن للمفهومين أصلهما التاريخي والواقعي؛ فالكيان

الصهيوني نشأ أصلًا من رغبة غربية استعمارية لإقامة كيان أو مجموعة وظيفية في هذه البقعة الحساسة من قلب العالم العربي والإسلامي كجزء من مشروع الهيمنة الغربية على المنطقة، وكحلقة من حلقات الصراع الحضاري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية. وتلاقت هذه الرغبة الاستعمارية أو غذت مفهوم الحلم والأسطورة المزيفة لدي اليهود عن حق العودة إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم على أساس التفسير المحرف للتوراة المحرفة أصلا، أو على أساس الدعاية الدينية اليهودية لجمع يهود العالم في هذه البقعة. وفي الحقيقة فإن الرغبتين والمصلحتين التقتا في محطة تاريخية تمخض عنها قيام هذا الكيان، ويجب هنا أن ندرك أن هناك وجدانًا غربيًا كارهًا ومعاديًا لليهود أصلا، ومارس الاضطهاد بحقهم طويلًا؛ وبذلك فإن إقامة وطن قومي لهم يحقق هدفين: الأول: هو التخلص من اليهود كزبالة بشرية غير مرغوب فيها في الغرب، ويحقق ثانيًا: الاستفادة من هذا الكيان في تحقيق الأهداف

الاستعمارية، والكيد للحضارة الإسلامية، وتمزيق وحدة المنطقة، ومنع نهوضها أو تطورها، واستمرار نهبها.

إذن فالكيان الصهيوني هو مشروع غربي في الأساس تم صياغته داخل أروقة المؤسسات الاستعمارية الغربية قبل أن يفكر فيه هرتزل بفترة طويلة. فهناك على سبيل المثال لا الحصر نداء نابليون بونابرت إلى يهود العالم من أجل إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة"سنة ١٧٩٩م" في إطار المشروع الاستعماري في الشرق الذي كان يحكم به نابليون، وهناك دعوة الرئيس الأمريكي (جون أرامز) إلى استعادة اليهود لفلسطين"سنة ١٨١٨م". وهناك مذكرة سكرتير البحرية الإنجليزية إلى وزير الخارجية (بالمرستون) آلتي يقترح فيها دعوة أوروبا إلى إعادة اليهود إلى فلسطين"عام ١٨٣٩م". وهناك برنامج (اللورد سافتبرى) إلى مؤتمر لندن بشأن توطين اليهود في فلسطين"سنة ١٨٤٠م". وهناك مشروع"إدوارد تنورد" لإقامة دولة يهودية متكاملة في فلسطين تحت الحماية الإنجليزية المؤقتة إلى أن تتمكن

من هذه الدولة من الوقوف على قدميها"سنة ١٨٤٥م". وهناك كتاب (أرنست لاهان) المستشار الخاص لنابليون؛ الثالث في المسألة الشرقية"إعادة بناء أمة اليهود""سنة ١٨٦٠م". وهناك كتاب"أرض جلفاد" للورنس أوليفنت عضو البرلمان الإنجليزي ووزير الخارجية والذي يقترح فيه إقامة مستوطنة يهودية على مساحة ١,٥ مليون فدان في الأردن وفلسطين"عام ١٨٨٠م". ثم هناك تأسيس بلاكستون في شيكاغو لمنظمة العثبة العبرية نيابة عن (إسرائيل) من أجل حث اليهود على الهجرة إلى فلسطين، ومذكرة بلاكستون إلى الرئيس الأمريكي بنيامين هاريسون ووزير خارجيته جيمس لين بإنشاء وطن قومي لليهود عام ١٨٩١م، وصدور كتاب الدبلوماسي الإنجليزي وليمر هشلر"إعادة اليهود إلى فلسطين" الصادر عام ١٨٩٤م، كل هذا قبل صدور كتاب تيودور هرتزل"الدولة اليهودية" الذي صدر عام ١٨٩٦م.

وفي هذا الصدد يقول جمال حمدان في كتابه"استراتيجية للاستعمار والتحرير"، ص١٦٨:"التقت

الإمبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخيًا على طريق واحد هو المصلحة الاستعمارية المتبادلة، فيكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة وحليفًا مضمونًا أبدًا يخدم مصالح الاستعمار؛ وذلك ثمنًا لخلقه إياه وضمانه لبقائه، ويقول أيضًا في الكتاب نفسه، ص١٧٦:"الاستعمار هو الذي خلق (إسرائيل) بالسياسة والحرب، وهو الذي يمدها بكل وسائل الحياة من أسلحة وأموال، وهو الذي يضمن بقاءهما ويحميها علنًا".

ويؤكد (روجيه جارودي) على هذه الحقيقة أيضًا بقوله:"إن الأب الروحي للصهيونية ثيودور هرتزل أشعل الرغبة الاستعمارية في خلق (إسرائيل) وقدم لها مسوغات إقامة هذه الدولة على أساس أنه إذا قامت إحدى الدول الاستعمارية بحماية هذه الدولة اليهودية فسوف تتمتع بميزة على خصومها؛ لأن هذه الدولة ستعتبر رأس حربة مزروعة في المنطقة من أجل التغلغل الاستعماري. وكتب تيودور هرتزل سنة ١٨٩٥م في كتابه (الدولة اليهودية) قائلًا:"ستكون هذه الدولة

بالنسبة إلى أوروبا متراسًا ضد آسيا، وستكون بمثابة الحصن المتقدم للحضارة ضد البربرية".

وفي محاضرة لروجيه جارودي في ١٣/١٠/١٩٩٦م في فندق الماريوت بالقاهرة: قال"إن (إسرائيل) ستلعب دورا هاما في المواجهة الحضارية بين العالم الغربي والعالم الإسلامي نظرًا لموقعها الإستراتيجي في قلب العالم الإسلامي".

وإذا كانت هذه هي أهداف السياسة الاستعمارية من خلق (إسرائيل) لتكون وكيلا للاستعمار الغربي وجماعة وظيفية لأداء وتنفيذ أهدافه، فإن القادة الصهاينة لعبوا على تلك النقطة تجاه الرأي العام الغربي وقواه السياسية وأجهزته ومؤسساته الحاكمة، وفي نفس الوقت لعبوا على الأسطورة التاريخية لدي اليهود عن الوعد التوراتي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، سواء كان هذا السلوك من قادة الصهاينة نوعًا من الدجل والدعاية، أو أنه يعبر عن اقتناعهم الحقيقي، سواء كان هؤلاء القادة الصهاينة ملحدين أو مؤمنين فإنهم عكسوا

في سلوكهم وتصريحاتهم وبنائهم للكيان الصهيوني تفسيرًا أسطوريًا توراتيًا – محرفا بالطبع ومزيفا وكاذبًا، فجولدا مائير زعيمة حزب العمل التاريخية في تصريح لها لصحيفة لوموند الفرنسية ١٩٧١/٥/١٥م تقول:"نشأ هذا البلد تنفيذًا لوعد الرب ذاته؛ ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحًا عن شرعية هذا الوجود".

ومناحم بيجين"ليكود" يصرح لصحيفة دافار الإسرائيلية، ١٩٧٨/١٢/١٤م بقوله:"لقد وعدنا الرب هذه الأرض، ولنا الحق فيها".

أما موشى دايان"ملحد" فيقول:"إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضًا بلاد التوراة، بلاد القضاة أرض أورشليم وحيرون وأريحا" جيروزاليم بوست، ١٩٦٧/٨/١٠م.

وهكذا يتردد دائمًا على ألسنة الزعماء الصهاينة نفس المنطق سواء كانوا من اليمين أو اليسار، أعضاء في حزب العمل أو في كتلة اللكود، ناطقين باسم الجيش أو الحاخامية؛ فالتوراة ترسم كل شئ في (إسرائيل)،

ترسم ثقافة الأطفال في المدارس؛ فبناء على توجيه دافيد بن جوريون فإن الدين اليهودي في إسرائيل يدرس كمادة إجبارية في المدارس.

والزواج في (إسرائيل) زواج ديني، ولا يوجد في (إسرائيل) دستور؛ لأن التوراة هي القانون الأساس للدولة، والتوراة هي التي ترّف المواطن وتحدد من هو الإسرائيلي، وهي ذاتها تحدد حدود الدولة، بل وتسوَّغ الحرب والإرهاب"علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تسوِّغ هذه الحرب؛ فنحن نؤدي واجبنا الديني بوجودنا هنا؛ فالنص المكتوب يفرض علينا واجبًا دينيًا وهو أن نغزو أرض العدو" حاخام برتبة نقيب، هآرتس، ١٩٨٢/٧/٥م.

والمذابح من دير ياسين إلى صابرا وشاتيلا تحلها التوراة وتأمر بها:"وحرِّقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل ومسن وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف" سفر يشوع، الإصحاح ٦ آية ٢١.

وبالطبع فإن هذا الفهم للتوراة – وهي محرفة أصلًا – هو بدوره فهم مغلوط، والحديث عن الوعد الإلهي في التوراة حديث مغلوط؛ لأن يهود إسرائيل أولًا ليسوا هم أبناء اليهود الأوائل من ناحية؛ فهم من يهود الخزر غالبًا، وحتى لو فرض أنهم من أبنائهم فقد فقدوا أهليتهم بسبب عصيانهم التاريخي المستمر لأنبيائهم، ولأنه بعد الإسلام بالذات فإن الأمة الإسلامية هي الأمة الرسالية، ونحن من ثم أولى من اليهود بإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، ويوشع، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى بن مريم – عليهم السلام – وأن هؤلاء الأنبياء وغيرهم قد بايعوا محمد الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء رحلة الإسراء والمعراج عندما أمَّهم في تلك الليلة في الصلاة في بيت المقدس، وأن موسى وداود، وسليمان وغيرهم من أنبياء بنى إسرائيل لو بعثوا اليوم ما كان بوسعهم إلا الدخول في الإسلام، باعتباره الدين الحق الحنيف الذي جاء به إبراهيم أصلًا من عند الله، وجاء به النبيون من قبله ومن

بعده، والذي جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليكون به خاتم الأنبياء، وليكون المسلمون هم ورثة كل وعد إلهي.

والكيان الصهيوني كيان عنصري؛ فهو قائم في تعريف المواطنة وكذا في سلوكه السياسي على فكرة تجميع يهود العالم الذين يُزعم أنهم من أب واحد وكتلة قومية ودينية واحدة، وأنهم شعب الله المختار وبقية العالم عبيد لهم، والديمقراطية الإسرائيلية لليهود فقط.

والكيان الإسرائيلي كيان عسكري وعدواني؛ فـ(إسرائيل) تنفق ٥٠% من ميزانيتها على الجيش، والمؤسسة العسكرية تتحكم في كل شئ في (إسرائيل) تقريبًا، وعلى حد تعبير بنيامين نتنياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني السابق"فإن القوة العسكرية مؤسسة لا بديل عنها للمحافظة على أمن إسرائيل. ونظريات السلام مع العرب ونظريات الخلاص اليهودي بالسلام يدلان على رؤية غير واقعة للواقع الإسرائيلي البائس، وعلى أحلام كاذبة تنبع من محاولة الهروب من الصراع

المحتوم عليها نتيجة وجودنا فإنه بين الشعوب العربية" بنيامين نتنياهو – كتاب"فكان تحت الشمس".

وهكذا فالمفهوم الإسرائيلي لسلام يتلخص في التفوق العسكري والخضوع الفاعل عسكريًا وسياسيًا من جانب العرب للهيمنة الإسرائيلية، وهذا بالطبع يشير إلى استمرار وجود قوة عسكرية هائلة، واستمرار توجيه ضربات إجهاضية لكل محاولة عربية لامتلاك القوة.

ولأن الكيان الصهيوني جماعة وظيفية أولًا لممارسة العدوان لحساب الاستعمار الغربي"الأمريكي حاليًا" ولأن حقيقة وجودهم مصنوع وغير طبيعي فإن المجتمع الإسرائيلي الذي قام على سلب حقوق الآخرين يحس بهاجس الأمن أو ما يسمى بعقدة الأمن، وهي عقدة ناجمة عن شعور إسرائيلي داخلي بأن وجودهم على هذه الأرض غير شرعي – ولم تفلح محاولات زرع ثقافة مصطنعة في إعطاء الإسرائيليين الشعور بالانتماء أو المشروعية؛ ولذا فإن المجتمع الإسرائيلي مجتمع معسكر؛ فأنماط المعيشة في إسرائيل"المستوطنات،

الكيبوتزات، المشوفات" وطريقة التجنيد والتعبئة ونظام الاحتياط ووضع المؤسسة العسكرية السياسي من حيث كونها مصدرًا للنخب السياسية والأمنية رفيعة المستوى، وأهمية حقيبة وزارة الدفاع في الحكومات الإسرائيلية، ونسبة مخصصات الميزانية العامة الإسرائيلية للاتفاق العسكري، توضح الوضع الذي تمثله المؤسسة العسكرية في (إسرائيل).

ويعاني المجتمع الإسرائيلي أيضًا من مسألة عدم تجانس اليهود القادمين من مختلف بقاع العالم، من غرب أوروبا وأمريكا، ومن شرق أوروبا، ومن اليمن والعراق والمغرب وروسيا، والحبشة وغيرها، وكل منهم يحمل ثقافة مختلفة، ولن يفلح الحديث عن الأسطورة التاريخية أو وحدة الأصل اليهودي في صهر هذا المزيج غير المتجانس، وكذلك فإن الوجود العربي الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة لإسرائيل؛ فلا هي قادرة أو راغبة على إعطائهم حقوقهم السياسية كمواطنين إسرائيليين ومع تزايد معدلات النمو السكاني

الفلسطيني فإن مشكلة ديموجرافية خطيرة ستواجه الكيان الصهيوني.

الكيان الصهيوني بعد الحرب الباردة:

إذا كان الصهاينة قد قبلوا أن يقوموا بدورهم كوكيل للاستعمار الغربي في المنطقة مقابل السماح لهم بإقامة كيانهم ودعمه ماديًا ومعنويًا، فإن مرور عشرات السنين على هذا الكيان جعل قادته يفكرون في التحول من دور التابع إلى دور الشريك الإستراتيجي، وتواكب في تلك اللحظة حدوث متغير هام في الصراع الدولي ومعادلاته الإقليمية؛ فبسقوط الاتحاد السوفييتي السابق ونهاية الحرب الباردة، قلَّت أهمية (إسرائيل) الاستراتيجية بالنسبة للغرب عمومًا وأمريكا خصوصًا، وتواكب ذلك مع الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة بعد حرب تحرير الكويت ١٩٩١م، أن أمريكا جاءت بجيوشها ولم تستخدم هذه المرة – لأسباب كثيرة – الصهاينة كجماعة وظيفية لأداء خدمات عسكرية نيابة عنها، وهذا بدوره قلل الأهمية الاستراتيجية للإسرائيليين،

ولكي يعيد الإسرائيليون التأكيد على أهميتهم ودورهم ساروا على عدة محاور أولها زيادة التغلغل الصهيوني في الإدارة الأمريكية؛ وخاصة الخارجية والمخابرات والدفاع ومراكز البحث ومؤسسات صنع القرار الأمريكي عمومًا بشكل لم يسبق له مثيل على الإطلاق في تاريخ العلاقة بين الطرفين.

ثم عملت (إسرائيل) على تقديم نفسها ليس كتابع لأمريكا بل كحليف إستراتيجي – مستقل – لها، ولو كحليف صغير أو أقل حجمًا.

يقول شمويل كاتز في بحثه المعنون:"وجهة نظر إسرائيلية للعلاقة الأمريكية الإسرائيلية":"ما مدي صحة لا قول بأن (إسرائيل) تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية اعتمادًا تامًا؟ إنه قول سخيف حتمًا لو أخذناه على ظاهرة؛ فإذا كانت إسرائيل توصف دائمًا بأنها حليف؛ فمعنى ذلك أن هناك بين الولايات المتحدة وإسرائيل حالة من الاعتماد المتبادل لا تقل، بل إنها تزيد في بعض الجوانب عن العلاقة بين الولايات المتحدة

وأوروبا الغربية"، ويضيف الباحث الإسرائيلي شمويل كاتز:"لا غنى لأمن أمريكا عن إسرائيل الصديقة، لا بسبب الحقائق الجغرافية السياسية وحدها؛ بل أيضًا لأن إسرائيل أصبح لديها القدرة على خدمة المصالح الأمريكية بشكل إيجابي ولا سيما في الشرق الأوسط".

ويطرح كاتز أن علاقة الحلفاء هي الأكثر قبولًا بقوله:"ولا شك في أن بالوسع إقامة علاقة صحيحة ومتكافئة كالعلاقة بين الحلفاء بإبرام اتفاق تعاقدي لا يتأثر بالتحيات السياسية ليضمن لإسرائيل أن تحصل لا على منح بل على مقابل للخدمات".

وطرحت (إسرائيل) نفسها بعد الحرب الباردة كذراع قوية وفعالة في مواجهة الصحوة الإسلامية، وإذا كانت دوائر حلف الأطلنطي وأمريكا بالذات قد اعتبرت أن الإسلام هو العدو الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، وأن الصحوة الإسلامية تمثل خطرًا على المصالح الأمريكية والغربية قيما وسياسيا وعسكريا، واقتصاديا، فإن (إسرائيل) التي تحس بالخطر ذاته عليها

مستعدة للقيام بدورها لحماية نفسها ولحماية مصالح أمريكا والغرب أيضًا. كما أكثرت (إسرائيل) من الحديث عن دورها الهام في موازنة الخطر الإيراني المرتقب المتربص بأمريكا والغرب وإسرائيل.

وقد طرحت (إسرائيل) نوعين من التكتيك لخدمة الأهداف الأمريكية بعد الحرب الباردة: الأول طرحه شيمون بيريز زعيم حرب العمل ورئيس الوزراء الإسرائيلي السابق والذي يتضمن سيطرة أمريكا اقتصاديًا وكذلك سياسيًا وعسكريًا على المنطقة من خلال إدماج المنطقة في تجمع اقتصادي وعلاقات اقتصادية"السوق الشرق أوسطية" تحقق لأمريكا أهدافها، وتكرس سيادتها على العالم والمنطقة، وتكون إسرائيل فيه أكبر الشركاء والقائد الإقليمي للتنمية التي تحقق بدورها من خلال رفع مستوى معيشة العرب نزع فتيل التطرف الإسلامي الذي يستمد مادته من تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة، وفي الوقت نفسه تحقيق نوع من السلام مع العرب يضمن لإسرائيل البقاء في المنطقة كجزء مندمج

فيها من خلال شبكة قوية ومتنوعة من العلاقات الاقتصادية مع المحافظة على تقوية الذراع العسكري الإسرائيلي ونزع سلاح العرب؛ أي أن بيريز كان يريد أن يحقق نوعًا من الربط بين (إسرائيل) والعرب يجعل من الصعب على الدول العربية أن تفكر في قطع صلتها بـــ(إسرائيل) والتحول إلى علاقة عداء والرؤية الثانية التي تبناها نتنياهو بدلًا من بيريز لرئاسة الوزراء، تقوم على استمرار إسرائيل منفصلة عن الشرق الأوسط وليست مندمجة في نظام شرق أوسطي؛ لأن مستقبل إسرائيل والمصالح الغربية من وجهة نظر نتنياهو يتمحور حول إسرائيل ذاتها وقدرتها على الاحتفاظ بشخصيتها في وسط معاد، وأنه لا توجد وسيلة للتعامل مع هذا المحيط إلا بالقوة والردع والعنف. يقول نتنياهو في كتابه"مكان بين الأمم":"السلام الوحيد الممكن تحقيقه بين العرب و(إسرائيل) هو السلام الذي يعتمد على ردع العرب، هو سلام حذر ومسلح يوفر لإسرائيل درجة

كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن التفكير في استمرار الحرب".

وفي الحقيقة فإن (إسرائيل) قد نجحت بوسائل عدة في إقناع واشنطن بأسلوب التحالف بدلًا من أسلوب التابع؛ وأصبح هناك انطباقًا كاملًا بين البلدين.

التشكيك في المقاومة

(١٣)

التشكيك في المقاومة:

ترتفع من آن لآخر نغمة التشكيك في جدوى المقاومة العراقية أو الفلسطينية أو أي مقاومة، ومن الغريب أن مفردات التشكيك وأساليبه وأهدافه واحدة؛ بل هي نغمة تتكرر بصورة رتيبة ومملة وداعية للازدراء.

إذا أخذنا المقاومة العراقية مثلاً؛ نجد أنه تم التشكيك ابتداءً في إمكانية اندلاع هذه المقاومة، وكانت الأسباب تدور حول أن الشعب العراقي قد فقد قدراته وحيويته بسبب الديكتاتورية، أو أنه مرحب فرح بالغزو والاحتلال الأمريكي الذي خلصه من الاستبداد، وسيفتح أمامه طريق الديمقراطية والرخاء؛ ولكن الذي حدث أن المقاومة العراقية اندلعت بأسرع مما يتصور أكثر المتفائلين تفاؤلاً، وتصاعدت وأثبتت وجودها؛ بل حولت حياة الاحتلال وجنوده إلى جحيم. ومرة أخري يتم اتهام المقامة بأنها مأجورة لصدام حسين، الذي يعطيها من الأموال التي اختلسها من أموال الدولة، وحتي لو كان هذا صحيحًا – هو غير صحيح- فالأمر لا يدعو إلى النقد، بل الفخر لأن من الأفضل إنفاق تلك الأموال على مقاومة الاحتلال، بدلاً من تركها لتنهبها سلطات الاحتلال،

ثم إنه ليس هناك أفضل ولا أشرف من الإنفاق على مقاومة المحتل ودعم نضال شعب ما، وبديهي أن حجم المقاومة ونوعية عملياتها وأساليبها لا يمكن أن تكون إلا تعبيرًا عن إرادة شعب وكرامة أمة، وليست قدرات وأموال فرد، فلما سقطت هذه الفرية بعد أن تم القبض على صدام حسين، وروج وقتها المرجفون أن المقاومة ستموت بالسكتة القلبية؛ فإذا بها تتصاعد كمًّا ونوعًا.

لما استمرت المقاومة وسقطت الأوهام حول طبيعة المقاومة كان لابد لدوائر التشكيك أن تبحث عن أسلوب آخر ومنطق آخر وحجج جديدة، وهي أساليب وحجج اتسمت بطابع الهجوم الاستراتيجي، أي التشكيك في المقاومة وفي ترحيب الشعوب بها، وفي طريقة التغطية الإعلانية لها وفي أهدافها ومستقبلها.

فلأن جماهير العالم الإسلامي والعربي محبطة وعاجزة ومقهورة ومغلوبة على أمرها؛ فهي ترحب بالمقاومة وتفخم من أعمالها وتعلق الآمال عليها، وهذا ليس صحيحًا تمامًا؛ فالترحيب بالمقاومة ليس فقط من منطق الإحباط، بل من منطق التضامن العربي والإسلامي

والوجدان المعادي للاستعمار والمفعم بحب المقاومة والاستشهاد، ووسائل الإعلام العربية في منطق المشككين هي بدورها بالغت في أعمال المقاومة ووفرت لها تغطية فوق العادة، وذلك كنوع من إرضاء الجمهور المتلقي واجتذابه والعزف على أوتار الإحباط بقوة أكثر من أن تسمح به الظروف والإمكانيات أو الواقع ومعطياته، وأن هذه المبالغة يمكن أن تنقلب إلى العكس وتتسبب في مزيد من الإحباط إذا ما انحسرت أو تراجعت المقاومة أو إذا عجزت عن تحقيق ما تصبو إليه من أهداف....

المقاومة تفرض نفسها:

ومنطق المشككين هنا يستخدم الكذب والخداع وعدم الترابط وافتراض أشياء غير حقيقية والبناء عليها وعلى غيرها من الأساليب المراوغة؛ فوسائل الإعلام العربية في مجملها تقدم أقل القليل عن المقاومة، وليس المبالغة؛ بل إن أخبار المقاومة تفرض نفسها فرضًا على تلك الوسائل، ولا يمكن بأية حال من الأحوال اتهام أمريكا وحلفاءها وعملاءها وأحزابها ومفكريها وكتابها وصحفييها بالعجز المالي أو المادي لدرجة أن تحدث مبالغة عكسية مثلاً في أخبار

المقاومة. واهتمام وسائل الإعلام بأخبار المقاومة هو عمل مهني بحت فليس هناك خبر أو موضوع يمكن أن يكون أهم من المقاومة في تلك الظروف. إن مسألة رد الفعل العكسي إذا ما انحسرت المقاومة أو عجزت عن تحقيق أهدافها منطق يخالف منطق المقاومة وفلسفته تمامًا، والمقاومة أولاً وأخيرًا تندلع من أجل الكرامة، وليس حولها وهم إمكانية الانتشار السريع، والوجدان العربي والإسلامي لا يربط الجهاد والنضال بالنصر فهو إما نصر أو شهادة، ولكننا مع ذلك نثق أن المقاومة يمكن أن تضع اللبنات الأولى ليس لانتصار شعب العراق؛ فقط بل للصمود العربي والإسلامي بالكامل.

منطق المشككين يعزو الحماس الجماهيري للمقاومة بأن أعداء أمريكا في المنطقة يروجون للمقاومة لأنها وسيلتهم لإلحاق أكبر قدر من الخسائر بالأمريكيين، وينسي هؤلاء المشككون أن الاتحاد السوفيتي قد سقط، وبالتالي فإن العداء لأمريكا في المنطقة ليس لحساب طرف ثان، بل هو بسبب ونابع من الممارسات الأمريكية ضد شعوبنا، بل أكثر من هذا فإن المدينين بالحماس للاتحاد السوفيتي والمنظومة الشيوعية السابقة هم الآن أكبر مروجي الخضوع لأمريكا

والتحالف معها والتبرير لها والترحيب بها، أما أعداء أمريكا فهم كل الشعب العربي والإسلامي باستثناء أصحاب المصلحة أو الحكام لا أكثر ولا أقل!!

من وسائل التشكيك في المقاومة العراقية الحديث باستمرار عن الموضوع الطائفي والعرقي، واستخدام أرقام قد تكون صحيحة وقد تكون مبالغ فيها؛ فحسب هؤلاء أن العراق يضم مجموعة من الأعراق والأديان وأن الأكراد الذين يبلغون ٢٠% من السكان رحبوا بالاحتلال ويتحالفون معه، والشيعة الذين يقدرهم هؤلاء بـــ٦٠% قبلوا بالتعاون مع الأمريكان وشاركوا في مجلس الحكم الانتقالي الذي شكله الحاكم المدني الأمريكي"بول بريمر". وهناك الأشوريون والكلدانيون والمسيحيون والتركمان وإن الذي يقاوم فقط هم جزء من العرب السنة أي جزء من أقل من ٢٠% أي لا يمكن أن تصل نسبة المرحبين بالمقاومة إلى ١٠%... ولأن المقاومة تحتاج مثل السمك إلى الماء، أي إلى احتضان جماهيري؛ فإن غياب هذا الاحتضان الجماهيري سيجعل المقاومة تحتاج إلى إمدادات بالأموال والأسلحة.

ولأن المال والسلاح المتوافر حاليًا سينفد سريعًا؛ فإن من الصعب استمرار المقاومة.

أرقام غير صحيحة:

وبداية فإن الأرقام التي فاقت دوائر التشكيك ترددها هي أرقام ليست صحيحة تمامًا، والتعامل مع العراق كأعراف وأديان فقط أمر تنقصه الدقة؛ فالكرامة الوطنية والإسلامية تهم الجميع عربًا وأكرادًا وسنة وشيعة، وحتي لو سلمنا جدلاً بأن هناك فقط ١٠% من الشعب العراقي الذين يرحبون بالمقاومة؛ فإن معني ذلك أن الجحيم ينتظر الأمريكان وأن مستقبل المقاومة عظيم ومشرف، لأنه إذا كانت مقاومة تستند إلى ١٠% فقط من السكان فقد استطاعت أن تحقق هذا القدر الهائل من النجاح وأنزلت كل هذا الحجم من الخسائر في صفوف الأمريكان وحلفائهم وغيرت عملياتها بالشجاعة والجرأة والذكاء والدقة، فما بالك لو شارك كل الشعب العراقي أو قطاع واسع منه، وهذا أمر بالطبع مرشح للحدوث؛ لأن الاحتلال ستنفضح أهدافه مع الوقت، وستتآكل الأحلام والأكاذيب حول دوره التحريري، وعقدة الاستبداد أو الاضطهاد الطائفي ستقل مع الوقت طبعًا.

وهكذا فإن تردي الأوضاع المعيشة والبطالة في العراق مرشحة للزيادة، وكلها عوامل ستزيد في المقاومة والترحيب بها، ثم إن الأجندة الأمريكية ستصطدم حتمًا مع طموحات زعماء الشيعة والأكراد، ولابد أن نفصل بين أحلام وأوهام قادة أكراد أو شيعة، ومطالب ومشاعر الجمهور الكردي أو الشيعي، خاصة أن الشيعة عرب، والأكراد سنة وأن العرب السنة هم قاعدة التلاحم، فهم عرب مع الشيعة وسنة أحناف مع الأكراد والحقيقة أنه لا يمكن فهم مدي التعاطف والتلاحم والاحتضان الذي يكنه الشعب العراقي حاليًا للمقاومة ورجالها؛ إلا أن ذلك لا يقتصر على نسبة الـ١٠% المزعومة، بل لابد أنه يضم قطاعًا واسعًا من الشعب رغم أنف القيادات الطائفية. وإلا أمكن لتلك المقاومة أن تحقق مثل هذه العمليات المتميزة ضد الوجود الأمريكي والإنجليزي والأسباني والإيطالي والبولندي والياباني وهلمّ جرّا!! ولما أمكنها أن تستخدم المدفعية والصواريخ ومضادات الطائرات والعمليات الاستشهادية والعربات الملغومة، وتلغيم الطرق والوصول إلى مقر قيادات القوات أو المعسكرات شديدة الحراسة لولا الاحتضان الشعبي غير العادي. وأما مسألة أن

الأموال والأسلحة اللازمة لاستمرار المقاومة فهي أراجيف مردود عليها؛ لأن المقاومة هي التي توفر السلاح بطرقها الخاصة، والقول بأن وجود السلاح والمال هو الذي يصنع المقاومة؛ فكيف بإمكانيات ١٠% من السكان قد وفرت كل هذا الكم من السلاح والمال؟! وكيف يا تري يكون عندما ينخرط الشعب في المقاومة بعد تآكل الأوهام والأحلام؟!! والمقاومة أولاً وأخيرًا إرادة وليست أسلحة وأموالاً، فالمقاومة تعبر عن إرادة شعب، وليست حرب بين جيشين مثلاً، ووسائل المقاومة عادت بسيطة ولكنها مؤثرة وهي تعتمد أولاً وأخيرا ً على الإنسان أكثر من اعتمادها على السلاح والذخيرة.

وصاية الاحتلال الأمريكي

من أراجيف المشككين أيضًا أن القوى السياسية المؤثرة في العراق لا تريد أن ينسحب الأمريكان، لأنها تدرك أن الوجود الأمريكي في العراق حاليًا يحمي العراق من حرب أهلية، ومن التحول إلى صومال آخر؛ وبالتالي فإنها سوف تتشبث بالوجود الأمريكي، وهو كلام يثير الغيظ أكثر ما يثير التأمل؛ فلو كان حال القوى السياسية العراقية

كذلك لكان عليها أن تغلق أحزابها وتنصرف مادامت غير قادرة على الحوار والتعايش وليس أن تتشبث بالأمريكان وتمسك بذيلهم..، ولا يمكن الفهم أن بلدًا عرقًا كالعراق لا يمكن أن يعيش بدون احتلال!! وأيًا كان البديل فإن الاحتلال مرفوض ولتكن المشاكل ما تكون فإنها سوف تنتهي يومًا ويعبر البلد مشاكله ويعبر بأي ثمن؛ أما أن يظل تحت وصاية الاحتلال فهو أمر لا يليق بأحد أن يقوله أو يفعله أو يؤمن به.

ويروج المشككون أيضًا أنه رغم ما يقرب من العام على اندلاع المقاومة فإنه لا يوجد بيان أو وثيقة تحدد برنامج المقاومة وتصورها لشكل الحكم والمستقبل بعد إخراج الاحتلال، وإنها مقاومة بلا قائد واحد يمكن أن يلتف الشعب حوله، وأن افتقاد المقاومة لهذين الشرطين فإنها ستنهار حتمًا...

والحديث عن عدم وجود قائد معروف للمقاومة، فهذا يرجع أولاً إلى أنها تتكون من العديد من الفرق السياسية والوطنية والإسلامية، يجمعها جميعًا الرغبة في التخلص من الاحتلال والدفاع عن الوطن والكرامة وبديهي أن تكون هناك

جماعات كثيرة وقيادات كثيرة متوسطة، وأن استمرار المقاومة سيجعلها تصل إلى ذلك الشرط وحتي لو لم تصل إلى ذلك فهو ليس شرطًا مقدسًا لا يمكن لمقاومة أن تتواجد بدونه، وليس شرطًا تطبيق تجارب معينة وتعميمها على كل النماذج والتجارب. إن عدم وجود وثيقة تحدد البرنامج وشكل الحكم بعد الاستقلال، فهذا هراء ينبغي ألا تقع فيه المقاومة الآن؛ بل إن وثيقتها الوحيدة والممكنة حاليًا وبرنامجها الذي لا برنامج سواه هو مقاومة الاحتلال بكل الوسائل والطرق حتي يندحر ويزول وبعدها لكل حادث حديث.

محيط المساندة للمقاومة:

بقي أن نرصد تلك الذريعة الممجوجة حول أن تلك المقاومة لا تملك تغييرًا إقليميًا، مثلما كانت فيتنام مثلاً حيث كان هناك محيط معاد للأمريكان ومتعاون مع المقاومة الفيتنامية مثل كامبوديا ولادس وروسيا والصين، فضلاً عن الدعم الدولي من المنظومة الاشتراكية والأحزاب الشيوعية، وهذه حجة لو كانت صحيحة لكانت لصالح المقاومة العراقية؛ فإنها رغم هذا الظرف غير المواتي اندلعت سريعًا وصمدت وتصاعدت وأنجزت، ولكن بالإضافة إلى ذلك فإن المحيط

الشعبي العربي والإسلامي منحاز للمقاومة، وهو أفضل من الدعم الحكومي أو الرسمي غير الموجود والذي كان سيفرض على المقاومة توازنات تؤثر عليها سلبًا، كما أن المقاومة تحظى بدعم عالمي من كل المستضعفين في العالم، وهم الأغلبية، ومن كل القوى المناهضة للعولمة والمناهضة لأمريكا والمناهضة للمشروع الصهيوني في الهيمنة على العالم.

الفلوجة
تكتب المستقبل

(١٤)

الفلوجة تكتب المستقبل:

ليس هناك مكان في العالم أجمل من الفلوجة، وليس هناك مدينة عربية في جمال تلك المدينة الساحرة، وليس هناك من المجاهدين أو المناضلين من ترتفع قامتهم إلى قامات رجال الفلوجة ولا نسائها ولا أطفالها.. تقف الفلوجة – مدينة المآذن الشامخة – المجاهدة بين مدن مثل حطين وعين جالوت وترتبط بحبل سري بجنين، ولذا فإن المناضلين الفلسطينيين الذين خرجوا في مظاهرات تضامن مع المقاومة العراقية كانوا على حق حين قالوا إن بغداد هي القدس والفلوجة هي جنين، وإذا كانت جنين هي مدينة الصمود والملحمة في وجه الاجتياح الفلسطيني فإن الفلوجة تجاوزت كل المدن الرائعة والجميلة، ونحن لا نقلل من جهاد أهل جنين وبطولاتهم ولا الثمن الغالي الذي دفعوه من الشهداء والجرحى والمباني المهدمة والألم والحصار، ولكن الفلوجة سياق آخر ومذاق آخر؛ إنها صمدت أمام أكبر آلة عسكرية استخبارية في التاريخ.. لم تقاتل وتقتل الكثير من الأمريكيين فقط ولكنها استعصت على السقوط زمنا أطول من أي زمن آخر ومكان آخر، ولذا فإن الفلوجة عروس المجاهدين وقلعة

الإسلام ومفخرة العرب في كل زمان ومكان. الفلوجة هي المكان الأكثر زخمًا في المقاومة العراقية منذ بدأت هذه المقاومة، وليس في الأيام الأخيرة فقط، وكانت الفلوجة دائمًا هي ترمومتر المقاومة ومقياس الصمود العراقي أمام جحافل الغزو الأمريكي البغيض.. الفلوجة هي أكثر الأماكن العراقية حتي الآن اشتباكًا مع الأمريكان أو تكبيدهم الخسائر، وتكاد تكون المدينة العراقية الوحيدة المحررة منذ بدأت المقاومة؛ حيث دائمًا ما اضطرت القوات الأمريكية إلى الخروج منها والاستقرار في مواقع خارج المدينة منذ وقت طويل، وهي المدينة التي قدمت كل أنواع المقاومة من مهاجمة قوافل العدو أو إسقاط مروحيَّاته أو حرق مركباته أو عمل كمائن على الطريق... الخ.

مدينة الفلوجة التي يبلغ عدد سكانها ٢٠٠٠٠٠ نسمة استطاعت أن تهزم أمريكا.. نعم تهزم أمريكا؛ لأنها استعصت دائمًا على الخضوع لأمريكا وقوات أمريكا ولنا أن نتصور مقاومة أهالي الفلوجة – المدينة الصغيرة – إذا تكررت في كل مكان بالعراق؛ فإذا كان عدد سكانها ٢٠٠٠٠٠ أي حوالي ٨% من عدد سكان العراق، أي أن

سكان ومدن العراق لو فعلت مثل الفلوجة لخرج الأمريكان بعد يوم واحد؛ حيث لا طاقة لهم بهذا النوع من المقاومة ولا تحمل مثل تلك الخسائر، وهكذا فإن المثلث السني العراقي هو رأس المقاومة وعمودها الفقري، والفلوجة هي دورة سنام المقاومة بلا منازع؛ ولذا فإن الحقد الأمريكي عليها لا يوصف، وهذا يوضح ويبين لماذا تعرضت الفلوجة لحصار والضرب بطائرات الـــ "إف ١٦" والهليوكوبتر وبالدبابات والصواريخ وبكل شئ تقريبًا.

بداية السقوط الأمريكي:

الفلوجة تكتب المستقبل بالفعل لأن مثل المقاومة العراقية هو الفعل العربي الإسلامي النبيل الأكبر والأبرز، والفلوجة هي عنوان تلك المقاومة، وعلى المستوى العراقي؛ فإن الفلوجة هي من رفعت هامات العراقيين، وأعادت إليهم العزة والفخار والاستعلاء، ولذا فهي قاعدة المستقبل والاستقلال للعراق، وعلى المستوى العربي والإسلامي؛ فإن الفلوجة هي عنوان المقاومة العربية والإسلامية ضد المشروع الأمريكي، وهي الجزء الحي في الجسد العربي مع أجزاء أخري طبعًا، ولكن الفلوجة هي الأكثر حيوية؛ وبالتالي

فإن إعادة الحيوية إلى الجسد العربي الإسلامي وإقلاعه من وهدة الانحطاط والمرض يبدأ من الفلوجة، ولن يكون غريبًا أن يقرأ أحفادنا في المستقبل المتوسط أو البعيد أن عصر العالمية الإسلامية الثانية بدأ من الفلوجة، أو أن المنحني الإسلامي الذي كان هابطًا قبل ظاهرة المقاومة العراقية قد بدأ انقلابه باتجاه الصعود من جديد في مدينة الفلوجة الباسلة بدءًا من عام ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤؛ بل يمكن أن يؤرخ لبداية السقوط الأمريكي ونهاية مشروع الاستكبار الدولى والمخطط الصهيوني الأمريكي على أرض الفلوجة، وانطلاقًا منها، وهكذا فالفلوجة هي رمز عراقي ورمز عربي ورمز إسلامي ورمز عالمي له شأنه وأي شأن.

ومن البديهي أننا لن نفعل مثل الآخرين ونبكي على الفلوجة وشهداء الفلوجة والمجازر الأمريكية في الفلوجة وقصف المساجد والمباني وتدمير البيوت والأشجار والمدارس.. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتحققوا الكرامة والعزة بدون شهداء وضحايا؟!

فريضة الدم:

ومهما كان عدد الشهداء والضحايا والخسائر والآلام؛ فإنها فريضة الدم والاستشهاد وهي فريضة لابد منها؛ بل هي شرط النصر والصمود والصعود والإقلاع – بإذن الله تعالى–.

وإذا كانت جنين وأمثالها هي النموذج لقدرة الإنسان على مواجهة الآلة؛ فإن الفلوجة هي الأكثر وضوحًا والأعمق في هذا الإطار لأنها مدينة صغيرة"٢٠٠ ألف نسمة" وهي تواجه أكبر قوة غاشمة في التاريخ وليس بعد أمريكا قوة حتي الآن، وبالتالي فإن درس الفلوجة هو الدرس الأوضح الذي لا يمكن بعده أن يكابر أحد أو يغالط أحد في أننا أمة قادرة على المواجهة والصمود، وأن أصغر قرية في العالم وبالذات العالم العربي والإسلامي لأسباب حضارية وثقافية ودينية مرتبطة بالجهاد والاستشهاد قادرة على مواجهة أمريكا والصمود أمامها؛ بل وإنزال أكبر الأذى بأمريكا، وبالتالي؛ فإنه يمكن أن نؤرخ بما قبل الفلوجة، وما بعد الفلوجة حيث ستصبح نموذجًا يقتدي لكل المدن والقرى والجماعات البشرية الطامحة إلى مواجهة الاستكبار الدولي

ومناهضة أمريكا.. إن الفلوجة هي عزنا جميعًا؛ ولذا فهي تستحق الدعم العراقي والدعم العربي والدعم الإسلامي؛ بل والدعم العالمي لأنها اختارت لنفسها أن تكون رأس الرمح في مشروع المقاومة والنهوض العراقي والعربي والإسلامي والعالمي.

مفاوضات خاطئة:

من العناوين الخطأ والممارسات الخطأ يمكننا أن نرد ما سمي بوفد المفاوضات العراقي الذي تكون من بعض أعضاء مجلس الحكم الانتقالي – ذراع أمريكا في العراق – أو بعض المنتسبين للأحزاب الإسلامية أو بعض علماء الدين ورغم ما يمكن أن يقال عن حسن النية في هذا الصدد؛ فإن الوساطة والمفاوضات هنا هي الطريق الخطأ ذلك أن الفلوجة حين اختارت طريق الجهاد والمقاومة؛ فإنها كانت تعرف أنها صعدت الجبل والطريق الصعب، وأن الفلوجة حين فعلت ذلك لم تكن تتصرف كرد فعل – مثلا – على اعتقال زعيم ما، أو البحث عن مقعد في مجلس الحكم أو طلب إصلاحات أو مكاسب فئوية أو غيرها، ولكنها كانت هي المبادأة بالجهاد والثورة؛ وبالتالي فبأي وساطة وعلى أي

أرضية يمكننا أن نتحدث عن هدنة أو خاطئة؟ وهذه الهدنة في رأينا هي ما يحتاجه الأمريكان لالتقاط الأنفاس وإحضار المزيد من التعزيزات؛ وبالتالي فالوساطة بهذه الطريقة مهما كانت النوايا طيبة هي ممارسة غير صحيحة؛ وتفتقر إلى الرؤية الاستراتيجية الصحيحة، وإن كان لابد من جهد فهو جهد الدعم بلا حدود ولا شروط وإشعال الأرض تحت أقدام الأمريكان في كل مكان بالعراق لتخفيف الضغط على الفلوجة وليس شيئًا آخر.

ارفع رأسك فأنت في الفلوجة:

تكتب المدن عادة في مداخلها مرحبًا بك في مدينة كذا ولكن الفلوجة وحدها وهذا من حقها كتبت في مداخلها"ارفع رأسك فأنت في الفلوجة" ومن حق الفلوجة أيضًا أن يصفها الكتاب والصحفيون الذين كتبوا عنها بأنها قلعة الأسود أو أن تصفها صحيفة "الجارديان" البريطانية بأنها مقبرة الأمريكان، وإذا كان الأمريكان قد اعترفوا بـــ٧٠ قتيلاً وعدد أكبر من الجرحى في مواجهة ٦ أيام فقط في الفلوجة وإذا كانت العربات والدبابات والطائرات المروحية المحطمة في مداخل الفلوجة وحولها وداخلها كلها تشهد

بشراسة المقاومة ونجاحاتها الهائلة؛ فإن ظهور المقاتلين في الفلوجة يمسكون المصحف الشريف بيد والبندقية أو أي سلاح باليد الأخرى هو دلالة هامة على البعد الإسلامي والعقائدي في الصراع ضد أمريكا، وهو شرط ضروري للصمود والانتصار.. فمن العناوين العلمية البحتة – وفقًا لعلوم السياسة والاجتماع – فن طبيعة التحدي وطبيعة العدو وطبيعة المعركة تقول إن غياب العامل الإسلامي في أي مواجهة كفيل بفشلها؛ لأن طبيعة المعركة تفرض ذلك بالإضافة إلى مدد الله تعالى الذي يأتي للمؤمنين المجاهدين الذين بذلوا كل الجهد، والحديث عن مدد الله تعالى في الفلوجة أصبح حديثًا متواترًا لدرجة أنه حتي الصحف ذات الميول غير الإسلامية باتت تعترف به، وتنقله على لسان المقاتلين في الفلوجة من قبيل الأمانة الصحفية. وقد رصدت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة أن الأمهات يحرضن الأولاد على الجهاد ضد الأمريكان ويدفعنهم قائلات:"اذهب وعاون أباك.. اذهب قرب أخيك.. الله أكبر.. إلى الجهاد لقتل وطرد الأمريكان" والمساجد كلها تكبر وتدعو إلى الجهاد وتقرأ سورًا من القرآن الكريم، وخطبة الجمعة

في الفلوجة ومنذ فترة طويلة كانت بمثابة الشرح السياسي لبرنامج المقاومة العراقية في كل العراق، وليس في الفلوجة وحدها، وقد تم اعتقال أكثر من إمام وخطيب وشيخ في الفلوجة على يد قوات الاحتلال منذ بدء المقاومة.

وهكذا فإن المواقف كلها تقود إلى المقاومة والصمود الناجح، ولم يكن غريبًا أو عجيبًا أن تصل التعزيزات بالآلات من قوات العدو لتشديد الحصار على الفلوجة ومحاولة اقتحامها.

بعد صمود الفلوجة كل هذا الوقت حتي لو سقطت لا يمكن الحديث عن القضاء على المقاومة العراقية، وبعد ممارسات أهل الفلوجة وما صدر عنهم من مواقف وبيانات وخطب جمعة لا يمكن الحديث عن أن مشروع المقاومة هو مشروع حرب أهلية أو طائفية أو مسألة إعادة النظام السابق أو إعادة الديكتاتورية أو غيرها من محاولات تشويه الوجه الجميل والمضيء للمقاومة، وإذا كانت الفلوجة معروفة بمدينة المساجد، وعلماؤها من أبرز من شارك في الثورة العراقية ضد الاحتلال الإنجليزي في عشرينيات القرن الماضي فإنه حري بها أن تحمل شعار المقاومة والصمود.

الحركة الإسلامية
أولويات استراتيجية
وتكتيكية

(١٥)

الحركة الإسلامية... أولويات استراتيجية وتكتيكية:

الأمة لم ترتد عن دينها لكنها في حالة هزيمة.

- أثبتت الخبرات والتجارب أهمية بناء وعي إيجابي لدي الشعوب الإسلامية لتحقيق النهضة المنشودة. - الأولويات الاستراتيجية للمسلمين تدور حول التصرف كطليعة.

إذا اعتبرنا أن الحركة الإسلامية هي ضمير الأمة، وهي التعبير الصحيح الوحيد عن هذه الأمة، باعتبار أن الإسلام هو دين الأمة وعقيدتها، وهو أيضًا المكون الأساسي في ثقافتها وحضارتها وبالتالي، فهو التعبير عن وجدان جماهيرها – مسلمين وغير مسلمين-؛ فإن تحديد أولويات هذه الحركة هو شرط أساس لمواجهة التحديات وإنقاذ الأمة من الانهيار وفتح الطريق أمامها للمستقبل.

بداية فإن على الحركة الإسلامية أن تعرف نفسها تعريفًا صحيحًا لاعتبارها طليعة للأمة وخميرة للنهضة وليست بديلاً عن الأمة بمعني أن عليها أن تدرك أن المنوط بالتغيير والمواجهة هو كل الأمة وليس قطاعًا واحدًا منها – مهما كبر حجمه – وإذا تصرفت الحركة كبديل عن الأمة أو

بالانعزال عنها؛ فهي تتحول بالضرورة إلى سرطان في جسد الأمة، والأمر أشبه هنا بخلايا شديدة النشاط والحيوية، إذا أخذت بيد باقي خلايا الجسد وقامت بتنشيطها معها وزيادة حيويتها صح الجسد وشفي، أما إذا نشطت منفردة ومنعزلة فهي تكون بمثابة سرطان في جسم الأمة؛ وهكذا فإن الأمر أشبه بنظرية الخميرة في اللبن.. فإذا نشطت الخميرة داخل اللبن تحول إلى زبادي – وهو المطلوب –، أما إذا نشطت الخميرة خارج اللبن فهي تتحول إلى وباء وتكاثر بكتيري ضار أو على الأقل لا قيمة لها، وبديهي هنا أن الأمة هي اللبن والحركة الإسلامية هي الخميرة، وتحقيق نهضة الأمة هو الزبادي. وهكذا فإن فكرة الجماعة البديلة، أو الجماعة أم، أو الصف الطويل أو القصير؛ هي أفكار جزئية تحقق عكس المطلوب.

أمة في حالة هزيمة:

يجب إدراك أن الأمة لم ترتد عن دينها؛ بل نحن أمة في حالة هزيمة تكنولوجية، والفجوة التكنولوجية بيننا وبين أعدائنا كبيرة جدًا، لا يمكن جبر هذه الفجوة على المدى القصير والمتوسط؛ بل أن توهم تحقيق ذلك أدي إلى كثير من

الخسائر والوقت الضائع، ولعل هذا يدفعنا إلى إعادة النظر في الأهداف والأولويات وشكل الحركة، فبناء مؤسسة قوية أو جيش قوى أو حتي دولة قوية أو جماعة قوية... الخ هو نوع من الوهم لأن هذا لن يتحقق لأننا في معركة مع أعداء شرسين لن يسمحوا بداهة بذلك، والمؤسسة القوية أو الجماعة القوية أو الدولة القوية أو الجيش القوى... الخ عرضة للضرب والتفكيك بسهولة.

ولعل تجاربنا القريبة والبعيدة تثبت ذلك، بل المطلوب بناء وعي إيجابي لدي كل الجماهير بمعني التركيز على الإنسان والجماهير وليس المؤسسة والقوى المادية؛ لأن الإنسان هو سلاحنا الرئيس في معركة المصير"سلاح الاستشهاد والمقاومة" وهو سلاح أثبت فاعليته في كل المواقف والمواقع بدءًا من مقاومة الحملة الفرنسية في مصر سنة ١٧٩٨ إلى مقاومة القوات الأمريكية في العراق الآن، ومن سنن الله تعالى أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا. وكذلك في طريقة بناء الحركات يجب أن يكون الإنسان الطليعة – الخميرة، وليس التنظيم والجماعة والأدوات، وحتي على مستوى نمط التنمية يجب التركيز على التنمية الأفقية وليس

الرأسية، والتنمية المعتمدة على الإنسان المحلى والسوق المحلى والخامات المحلية وليست القائمة على أكتاف التكنولوجية، وهذا يحقق هدفين: أولاً تشغيل الطاقات الإنسانية بدلاً من الآلية، وعدم قدرة الأعداء على ضربها. وننوه هنا بالتنمية الزراعية والرعوية والصناعات الخفيفة.

يجب إذا أن ندرك توصيف حالتنا الراهنة؛ فنحن أمة صعد المنحني الحضاري لها بدءًا من الرسالة وحتي وقت طويل، ثم ثبت هذا المنحني ثم بدأ في النزول منذ قرنين إلى ثلاثة قرون، ويجب أن ندرك هذا أولاً ونعترف به، ولا نتصور أنفسنا مازلنا في عصر الدولة العباسية حيث كان الخليفة يقول للسحابة في السماء "أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك"، وبعد إدراك ذلك نعمل على تقليل سرعة نزول المنحني ثم نوقف نزول المنحني ثم نعمل انقلابًا في اتجاه المنحني ثم نبدأ الصعود من جديد، وهذا يقتضي سلوكًا فكريًا وحركيًا متميزًا يمكن أن نطلق عليه اختصارًا "فقه الإقلاع".

وبدون إدراك ذلك والمرور في تلك المراحل فإن الجهد سيضيع والطاقات ستهدر والتضحيات بلا جدوى تستمر.

جهد حركي متجدد:

بالطبع فإن روشتة الحل وتحديد الأولويات تحتاج إلى جهد مضني وعمل من قطاع واسع من المفكرين والحركيين، وبديهي أن ذلك الجهد وتلك الاقتراحات لا يمكن أن يتسع لهما مقال ولا حتي كتاب ولا يمكن أن يضطلع به فرد مهما كانت قدراته، ولكنه جهد تراكمي من أفراد وهيئات وحوارات وندوات ومقالات وكتب، وقبل ذلك وبعده جهد حركي متجدد ومتجاوز وغير تقليدي، ولكن – من وجهة نظري – والله تعالى أعلم؛ فإن مفتاح كل ذلك يتلخص في فعل وكلمة"الجهاد".. الجهاد ضد المشروع الأمريكي الصهيوني وليس ضد بعضنا بعضًا، وتقديم هذه الأولوية على غيرها. والجهاد هو الذي سيفجر الوعي، الوعي باللحظة وأبعادها وأولوياتها ومهماتها، وهو الذي سيفجر التقوى في النفوس؛ فمن أراد أن يعرف ويعلم ويتعلم فليجاهد، ومن أراد أن يتقي الله ويعبده أكثر فليجاهد، والله

تعالى يقول في كتابه العزيز: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا) (العنكبوت: ٦٩) والرسول صلى الله عليه وسلم ويقول:"ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا". وهكذا فإن الجهاد في سبيل الله أولاً وثانيًا وأخيرًا.

ولعله من المفيد هنا أن نتحدث عن وصفة قرآنية لحالتنا المعاصرة وبالتالي طريقة حل المشكلة، يقول الله تعالى في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن اله لا يهدي القوم الظالمين* فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسي الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) (المائدة: ٥١-٥٢).

الآيات إذًا تتحدث عن الحالة التي نحن بصددها، وهي الموالاة والتحالف بين اليهود والنصارى"إسرائيل وأمريكا والعرب"، وهو أمر لم يحدث تاريخيًا إلا في الخمسين أو المائة سنة الأخيرة. والآية تحدد لنا الطريق الصحيح وهي عدم موالاة الإسرائيليين والأمريكيين والغرب؛

بل وتنصح المغتربين والمنبطحين، وتحدد موقفهم بدقة تليق بإعجاز القرآن الكريم، فهم (في قلوبهم مرض) (البقرة: ١٠)، ويقولون لا نستطيع أن نواجه أمريكا أو إسرائيل لأن هناك خلل في ميزان القوة، وأننا لو فعلنا ذلك سوف نصاب بكارثة وخسائر ضخمة (نخشى أن تصيبنا دائرة)، والحل من عند الله تعالى؛ فإذا بذلنا الجهد كله في الجهاد والمواجهة، ولم نوال أمريكا والغرب وإسرائيل، فإن مدد الله موجود، ومسألة هي إحدى أهم الأولويات التي يجب أن تركز عليها الحركة الإسلامية. وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة وهو ليس دعوة للتواكل؛ بل على العكس دعوة للإيجابية والمواجهة وعدم الخوف، لأن المدد لا يأتي إلا بشرط بذل كل الجهد، وبذل كل التقوى، أي أنه دعوة للعمل على مستوى العبادة والعمل الدنيوي معًا، وهو طريق صد الخضوع مهما بلغت قوة الأعداء؛ لأن الإيمان بالمدد الإلهي يجعل المؤمن وجماعة المؤمنين لا تحسب المسألة حسابًا بسيطًا بل حسابًا مركبًا تدخل فيه قدرة الله تعالى ومدده، وبالتالي فالخوف مرفوع لأننا نستند إلى أقوى الأقوياء، القادر على كل شئ.

وهكذا فإن الآيات تفتح باب الأمل، فيمكن أن يحقق النصر بفعل إلهي مباشر، أو تتعطل آلات الأعداء الجبارة، أو يقيض الله للأمة من أمثال الاستشهاديين والمقاومين في فلسطين والعراق ويوقعوا من الخسائر في صفوف الأعداء ما لا قبل لهم به، فينسحبون، وعندئذ يصبح الذين في قلوبهم مرض نادمين.

الأولويات الاستراتيجية تدور إذًا حول التصرف كطليعة، وحول إعادة الاعتبار إلى المقاومة والمواجهة والجهاد، وليس الصف والتربية وانتظار الفرص، وعدم موالاة الغرب وأمريكا وإسرائيل وعدم المرونة معهم على أي مستوى كما يحدث من بعض الحركات الإسلامية، إدراك بعد الهزيمة التكنولوجية والتركيز على الإنسان وليس المؤسسة.

وهناك بالطبع أولويات تكتيكية كثيرة جدًا، وهذه متغيرة يومًا بعد يوم وعلى الحالة الإسلامية إدراكها وفهمها والتعاطي معها شريطة ألا تكون على حساب الأولويات الاستراتيجية.

العداء للسامية

الأصل والصورة

(١٦)

العداء للسامية الأصل والصورة:

ظهر مصطلح العداء للسامية لأول مرة عام ١٨٧٩ على يد الصحفي الألماني اليهودي "فيلهيلم" مار عندما أصدر كتابًا بعنوان انتصار اليهودية على الألمانية وكانت تلك الفترة قد شهدت أحداثًا اقتصادية ومضاربات عقب الحرب الفرنسية البروسية أدت إلى إفلاس كثير من الأغنياء الألمان في بروسيا وفرنسا وعدد من دول شرق ووسط أوروبا، وحمل الأوروبيون وقتها المسألة والمسئولية على اليهود، الذين تم اتهامهم بأنهم متآمرون، وبدأت سلسلة من الاضطهادات ضدهم، وفي الحقيقة فإن الاضطهاد الأوروبي لليهود شكل مساحة كبيرة من التاريخ الأوروبي لأسباب كثيرة لعل أهمها الروح العنصرية الأوروبية التي لا تري الحق في الإنسانية إلا للأوروبي، والاضطهاد الأوروبي والعنصرية الأوروبية لم تطل اليهود وحدهم بل طالت المسلمين والزنوج والهنود الحمر، فالعنصرية جزء لا يتجزأ من الوجدان الأوروبي والقيم الحضارية الأوروبية. ولعلنا نفهم المسألة إذا أدركنا أن حرب الاسترداد المسيحية الأوروبية للأندلس إسبانيا والبرتغال شهدت اضطهادًا وإبادة لكل مسلم ويهودي على

حد سواء، وقد استمرت تلك العملية بصورة أو أخري، ولكنها طالت اليهود فيما بعد أكثر لأن هؤلاء ظلوا كألقليات في بعض الدول الأوروبية، ولعل تاريخ روسيا العنصرية وألمانيا النازية مفعم بحوادث الاضطهاد تلك، في حين أن اليهود عاشوا في بلاد مثل إيران واليمن والعراق ومصر والمغرب وليبيا وغيرها من البلاد الإسلامية بدون أي مشاكل من أي نوع، وحصلوا على امتيازات وثروات في طول البلاد الإسلامية وعرضها حتى قيام إسرائيل حين فضل عدد منهم بسبب الغباء والتضليل الهجرة إلى إسرائيل، ولكن من بقي منهم في إيران أو المغرب أو مصر أو العراق أو غيرها ظل يتمتع بحقوق المواطنة وروح التسامح الإسلامي المعروف حتى اليوم.

استخدمت الجماعات الصهيونية والموالون لها مصطلح العداء للسامية لترعب به كل من ينتقد اليهود أو الإسرائيليين أو الصهيونية، وذلك عندما بدأ التحالف الغربي الصهيوني المعاصر، ولكن حقيقة المصطلح والمشاعر مخالفة لما يستخدم فيه، والصورة المستعملة تخالف الأصل تمامًا.

العداء للسامية في حقيقته هو عداء عنصري أوروبي ضد كل الجنسيات السامية من عرب ويهود وغيرهم، وهو جزء من العنصرية الأوروبية المعروفة، ويمكن لأي متابع للثقافة الأوروبية في كل عصورها بما فيه ما يسمي بعصر الاستنارة والتنويل أن يكتشف جذور وملامح تلك العنصرية منها العداء للسامية بالطبع، بل إن الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته عن اليهود واليهودية والصهيونية أثبت أن الألمان الذين كانوا يقتلون اليهود في الحقبة النازية كانوا يستخدمون كلمة المسلمين للدلالة على هؤلاء اليهود وهو ما يكشف مضمون العداء للسامية، وكذا فإن الكاتب الفرنسي هانوتو عام ١٩٠٠ قد زعم في حواره مع الشيخ محمد عبده أن هناك عيوبا أخلاقية مثل الكسل في الجنس السامي على عكس الآرامي لأسباب تتصل بالعقائد، ورد عليه الشيخ محمد عبده مفندًا ذلك ومدافعًا عن العرب والمسلمين واليهود.

في إطار الروح العنصرية والعداء لسامية حاول الأوروبيون التخلص من اليهود في أوروبا – كزبالة بشرية – فنشأت فكرة، إنشاء وطن لهم في فلسطين لتحقيق هدف

التخلص منهم، ولاستخدامهم كجماعة وظيفية تقوم بدور الوكيل عن الغرب – ثم أمريكا – ومفرزة عسكرية متقدمة ورأس جسر للغرب في قلب العالم العربي والإسلامي لمنع نهضته والكيد له وضربه كلما كان ذلك مطلوبًا على يد هذه الجماعة الوظيفية، وهكذا نشأت فكرة الصهيونية أو إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين في أروقة أجهزة المخابرات ودوائر وزارات الخارجية الأوروبية منذ نابليون بونابرت الذي دعا إلى ذلك فعلاً وحتى وعد بلفور ١٩١٧، وقد تلقف عدد من اليهود غير المتدينين الفكرة ودعوا إليها بدءا من هرتزل ١٨٩٧ وانتهاء بوايزمان وبن جوريو نحتي تأسست الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ وهكذا فإن الذين تلقفوا الفكرة من اليهود الصهاينة إنما ساعدوا الغرب وكانوا أداة له للتخلص من اليهود في أوروبا والنكاية في العالم العربي وتحويل هؤلاء اليهود الصهاينة إلى جماعة مرتزقة تقوم بدور العدوان لحساب الغرب، وهكذا فإن إنشاء دولة إسرائيل في حد ذاته هو نوع وتجسيد للعداء للسامية وأحد إفرازات هذا العداء وأكبر تجلى له، وقد أدرك هذا الأمر عدد من اليهود غير الصهاينة الذين رفضوا قيام إسرائيل ولا يزالون

يدعون إلى إزالتها، ورفضوا الفكرة الصهيونية من أساسها باعتبارها فكرة معادية لليهود واليهودية وأوامر الرب على حد سواء، والأمر كذلك بالفعل، ولعل جماعة ناطوري كارتا بمن فيها من يهود وحاخامات خير مثال على ذلك.

نحن كعرب وكمسلمين لسنا معادين للسامية، لأننا لن نعادي أنفسنا، بل العداء للسامية في جوهره موجه لنا نحن، وإسرائيل هي التجسيد الأكبر للعداء لسامية، وهكذا فإن النضال من أجل إزالة إسرائيل هو جوهر ومضمون النضال ضد فكرة العداء للسامية ونحن أيضًا لسنا معادين لليهود واليهودية، لكم دينكم ولى ديني، ومطالبون بالعدل مع غير المسلمين والتسامح معهم ولكننا في نفس الوقت شديدو العداء للإسرائيليين وكل من يعيش في فلسطين المحتلة من اليهود ما عدا اليهود من أصل فلسطيني المحتلة إلى مغادرتها والعودة من حيث أتوا، وندعو الدول العربية والإسلامية إلى فتح أبوابها لعودة من يريد العودة من اليهود من إسرائيل للعيش في تلك البلاد وذلك لحل المشكلة الفلسطينية ومن لا يريد أن يترك فلسطين لأهلها، فإنه يستحق بالتالي القتل وهو مجرم وسفاح، ومغتصب، وهكذا فنحن ندعو إلى الكفاح

المسلح لتدمير إسرائيل وتدمير هذا الكيان الاستعماري، ونؤيد العمليات الاستشهادية ضد كل إسرائيلي في فلسطين المحتلة، لأنه ببساطة مغتصب يستحق القتال والقتل، ولن تسقط عنه صفة المغتصب ما لم يرجع من حيث أتي أو أتي آباؤه ويترك فلسطين لأهلها الشرعيين.

لا يعنينا بالطبع مناقشة ما إذا كان اليهود حقًا يتآمرون على الشعوب ويستحقون بالتالي الاضطهاد الذي وقع عليهم، أم أن ذلك كان نوعًا من العداء الوجداني الداخلي المتصل بالمسيحية أو غيرها لليهود بسبب موقفهم من المسيح، كما لا يعنينا إن كانت البروتوكولات المنسوبة لهم صحيحة أم ملفقة ولا يعنينا الحديث عن موضوع استخدام دم مسيحي لفطير صهيون يوم عيد الفصح، أو غير ذلك مما يقال عن اليهود، الذي يعنينا أننا نرفض الظلم الذي وقع على أي إنسان حتى لو كان يهوديًا، ونقبل أن يحاكم كل من يتآمر على شعب من الشعوب وينال عقابه فردا كان أو جماعة، ويعنينا أيضًا أن ندافع عن حقوقنا المشروعة في فلسطين بكل الوسائل بما فيها العمليات الاستشهادية ضد كل ما هو إسرائيلي وفي كل مكان في العالم، ويعنينا أن نفهم أن

إسرائيل فكرة صهيونية، وإفراز غربي أيضًا وألا تخدعنا تصريحات هنا وهناك عن حقيقة أن إسرائيل مجرد عصا يمسك بها الغرب وأمريكا لقمعنا ونهبنا والقضاء على حضارتنا وربما وجودنا وأنه يجب تحطيم العصا ومن يحملها أيضًا، وأن المعركة طويلة وصعبة وقاسية، وفي كل الأحوال نحن ضد العنصرية ولا نقبل أن نمارسها أو يمارسها أحد علينا أو على غيرنا، وضد الظلم والعدوان وضد المشروع الصهيوني الأمريكي الغربي الذي هو معاد للسامية في جوهره، وليس من العدل ولا الإنصاف ولا المصلحة لنا أن نتورط في الدفاع عن هتلر أو الفرح بتصريحات لوبان ضد اليهود أو غيرها من الممارسات العنصرية الأوروبية لأنها تشملنا أيضًا. وهكذا فإن العداء للسامية كان هو السبب في ظهور إسرائيل ودعمها واستمرارها، لأن العداء للسامية وجدان غربي موجه ضد العرب والمسلمين قبل اليهود.

زوال إسرائيل
نبوءة قرآنية
وحتمية تاريخية

(١٧)

زوال إسرائيل نبوءة قرآنية وحتمية تاريخية:

هل هو إغراق في التفاؤل كرد فعل على حالة شديدة الصعوبة والقسوة تمر على المنطقة وعلينا.. أم هو نوع من خداع النفس أو الأماني الحلوة في الأيام المرة، أم نوع من الهروب من مواجهة تحديات ضخمة تمثلها جيوش وبواخر وأسلحة ودمار وقتل وترويع وتدخل سافر في شئوننا وصل إلى حد تحديات ما نتعلمه وما لا نتعلمه.. أم هو نوع من التشبث بالأمل حتى لا نستسلم لليأس؟

ليس هذا ولا ذاك.. بل هو الحقيقة إن شاء الله، فإذا كنا نؤمن حقًا بالقرآن الكريم، فإن النبوءة القرآنية تتحدث بالفعل عن زوال إسرائيل (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرًا* فإذا جاء وعدُ أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولاً* ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا* إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا) (الإسراء: ٤-٧).

وإذا كان القرآن الكريم يتحدث عن زوال إسرائيل فإن هذا يصل إلى درجة اليقين المطلق لدي كل مسلم، وهو يقين مفيد لجعله لا ييأس أبدًا مهما اختل ميزان القوى، ومهما كانت الظروف الدولية والإقليمية صعبة، لأن الله تعالى الجبار المتعال القادر على كل شئ، والأكبر من كل قوة هو الذي وعد بذلك ووعده الحق إن شاء الله تعالى، وبالتالي فإن استمرار المقاومة بكل أشكالها، ومهما كانت الصعوبات هو الطريق الصحيح والمشروع والمتفق مع المنهج القرآني، وهذا في حد ذاته إحدى علامات النصر إن شاء الله.

زوال إسرائيل أيضًا حتمية تاريخية، ذلك أن إنشاء دولة إسرائيل هو على عكس حركة التاريخ والجغرافيا، وهو نوع من تثبيت جسم غريب في كائن حي يرفضه، ومهما كانت قوة اللصق والتثبيت فإنها ستنتهي يومًا، وهذه المنطقة العربية الإسلامية، منطقة شديدة العمق حضاريًا وثقافيًا، وذات كثافة سكانية عالية ولا يمكن بكل الوسائل والطرق ولا حتى بالإبادة تفريغ المنطقة من السكان، أو تفريغها من وجدانها الثقافي والديني، ولأن المنطقة هي أعمق مناطق العالم ثقافة، فهي ستلفظ بالضرورة هذا الجسم الغريب، وإذا

كان الغرب قد أراد أن يتخلص من المشكلة اليهودية بإنشاء إسرائيل، وليستفيد منها في نفس الوقت كمغرزة عسكرية متقدمة ضد قلب العالم العربي والإسلامي؛ فإنه أيضًا كان يدرك أن المنطقة لن تقبل ذلك، لا بسهولة ولا بصعوبة، ولم يكن هذا يهم الغرب بالطبع، فلسان حاله يقول فليذهب العرب واليهود معًا إلى الجحيم، ولأن اليهود أغبياء فقد بلعوا الطعم، ومارسوا غدرهم وحقدهم على المسلمين بلا هوادة، ولكن ذلك أيضًا لن يفلح في تثبت كيان مفتعل وملفوظ جملة وتفصيلاً.. مهما كانت القوة العسكرية الإسرائيلية، ومهما كانت قوة الدعم الأمريكية والغربية للكيان الصهيوني، ومهما كانت وسائل الترهيب فلن تفلح في القضاء على مقاومة الجسم العربي الإسلامي ولا القضاء على مناعته في مواجهة هذا الجسم الغريب، ومهما كانت قوة التضليل وغسيل المخ وقوة الإغراءات والمشروعات لإقناع الشعوب بقبول التعايش مع إسرائيل أو التخلي عن الهوية والثقافة أو تفسير الإسلام تفسيرًا جزئيًا أو مغلوطا فإن ذلك لن ينجح بل هو أحد المستحيلات والله متم نوره ولو كره الكافرون.

المنطقة العربية والإسلامية وتحديدًا قلبها فلسطين، ليست منطقة خالية من السكان، ولا خالية من الثقافة، بل هي عميقة وكثيفة حضاريًا وبشريًا، بل ربما هي الأعمق والأكثف في العالم، وهكذا فإن زوال إسرائيل حتمية حضارية، قد ينجح الضغط في تثبيت مؤقت لذلك الكيان، قد يتورط حاكم أو مجموعة بشرية أو دولة أو حتى جيل بأكمله في التعايش المستحيل مع إسرائيل، ولكن هذا ضد منطق الأشياء ولن يستمر طويلا.

هذه الحقيقة بدأ يدركها مفكرو وقادة العدو الصهيوني أنفسهم، فهم يتحدثون عن وطن بلا مستقبل، أو أنهم أخذوا أكبر مقلب أو خازوق على حد تعبير أحد الشعراء الصهاينة في استقباله لأحد المهاجرين الجدد قائلاً له: تعال وأجلس على الخازوق مثلنا.

المقاومة هنا شرط لازم لزوال إسرائيل.. والمقاومة قد اندلعت بالفعل وامتلكت الطريق الصحيح، بل وأفرزت ظاهرة وهي العمليات الاستشهادية.. وهذا سلاح لا يمكن القضاء عليه، لقد تمت عمليات استشهادية في جميع أنحاء فلسطين المحتلة، في الجليل، وتل أبيب ويافا وعكا وفي

الضفة وغزة، وضد مستعمرات شديدة الحراسة وضد مستوطنين مسلحين، وضد كتائب الجيش الصهيوني ذاتها تمت هذه العمليات في جميع الأحوال والأوقات، وهذا يعني أن كل الاستخبارات والتحصينات والأقمار الصناعية ووسائل التكنولوجيا الحديثة والقديمة لم تكن حائلاً دون استمرار هذه العمليات، لا إمكانات الجيش الصهيوني ولا الجيش الأمريكي ولا محاولة السلطة، ولا الضغوط الدولية ولا حالة الهجوم الإعلامي المستمر على تلك العمليات ووصفها بالإرهابية، ولا محاولات إرهاب الشعب الفلسطيني وترويعه، ولا الاغتيالات ونسف البيوت ولا وحشية شارون من قبله ومن بعده ولا الأسوار والأطواق الأمنية حالت دون استمرار ونجاح تلك العمليات، والقيمة الكبرى لتلك العمليات ليس في مدي ما تحدثه من خسائر في صفوف العدو، بل بما تبثه من رعب في نفوس الإسرائيليين وما تحدثه بالتالي من خلل في المجتمع الإسرائيلي، بل ما تحققه من نسف لفكرة الصهيونية ذاتها، لأن الفكرة الصهيونية بالنسبة لليهود الصهاينة هي التجمع في مكان آمن وطن قومي بعد أن عاني اليهود من الاضطهاد العنصري في أوروبا تحديدا!! وهذا بالطبع ليس

ذنب العرب والمسلمين الذين يعاملون غير المسلمين بمن فيهم اليهود معاملة تليق بالعدل الإسلامي والأوامر الشرعية الإسلامية، ولعل ممارسات التاريخ القديم والحديث تؤكد ذلك، المهم أن الغرب نجح في إقناع اليهود بأن فلسطين ستكون مكانًا آمنًا بالنسبة لهم، فهي أرض بلا شعب، ومنطقة سوف تقبل بهم بالقهر والإغراء، وهي أيضًا ترجمة للتفسير المحرف للتوراة أو التلمود، ولكن جاءت حقائق التاريخ والجغرافيا والثقافة والمقاومة لتقول العكس، فالشعب الفلسطيني موجود، وهو لن يفرط في أرضه، وهو يمتلك أعلى نسبة خصوبة قادرة على إحداث توازن سكاني باستمرار مهما استمرت عملية الإبادة الصهيونية، والثقافة العربية الإسلامية عميقة الجذور لن تسمح بقبول دائم لإسرائيل في المنطقة، والنص القرآني والمفاهيم الإسلامية الثابتة منتشرة بقوة في المنطقة المحيطة، وهذا معناه استمرار الدعم المادي والمعنوي، بل وخروج الاستشهاديين من غير الفلسطينيين من العرب والمسلمين، والممارسات الإسرائيلية والأمريكية في المنطقة تدفع الشعوب دفعا إلى دراك أن الجهاد والمقاومة ليست فقط فريضة شرعية بل هي ضرورة

حياتية وطريق بلا بديل وإلا فالموت والخضوع وفقدان الكرامة.. وبذلك كله وبغيره كثير، أصبحت فلسطين أقل الأماكن في العالم أمانًا بالنسبة لليهود وهذا ينسف فكرة الصهيونية من جذورها، وهكذا فإن المقاومة في الحقيقة والتي وصلت إلى حد مطاردة الإسرائيليين في بيوتهم ومطاعمهم ونواديهم ومستوطناتهم وثكناتهم العسكرية، بل وخارج فلسطين ذاتها في كينيا على يد فدائيين ليسوا فلسطينيين، بل مسلمين ينتمون إلى تيارات عربية أخري، هذه المقاومة تقول إن فكرة الوطن الآمن فكرة مزيفة، وأن على يهود إسرائيل أن يعيشوا في خوف ورعب دائم، وإذا كان الأمر بالنسبة للإسرائيلي مفهومًا حين يقوم بالقتال من أجل إنشاء وطن واستمراره وتثبيته، فهذا لا يكون إلا لفترة محدودة وبتضحيات معينة، أما أن تتحول المسألة إلى قلق وخوف دائمين، واستنفار مستمر وقتال بلا نهاية منظورة فهذا فوق الطاقة، وإذا كان ذلك هو قدر العرب والمسلمين، لأن هذه بلادهم وليس لهم بلاد غيرها، فإن ذلك ليس حتميًا بالنسبة ليهود إسرائيل، لأنهم يمكنهم العودة من حيث أتوا أو أتي آباؤهم، وبديهي أن حلم الاستقرار والتمتع بمباهج الحياة

حلم كل إنسان، وخاصة الأجيال الجديدة في إسرائيل، وهكذا فالمقاومة نسفت الفكرة الصهيونية، أما سيناريو زوال إسرائيل فهو مجرد تفاصيل.

تفسخ وانهيار المجتمع الإسرائيلي من الداخل، وشيوع حالة الخوف والفزع لدي الإسرائيليين أحرص الناس على حياة وتشقق فكرة الصهيونية ذاتها أمر أصبح محسوسًا ومعروفًا وترصده مراكز الأبحاث، بل يراه أي مفكر موضوعي داخل إسرائيل أو خارجها، بل أن تقريرًا أعدته لجنة مشتركة من الكنيست ومجلس الوزراء الإسرائيلي عام ٢٠٠٢ وجاء بعنوان الواقع في إسرائيل يصل إلى نفس النتيجة وهو أن الأمور لو سارت بنفس الطريقة فسوف ينهار المجتمع الإسرائيلي من الداخل خلال ٢٠ عامًا وأنه لابد من علاج الموضوع.. وبديهي أن تلك أمانيهم، فالعلاج موضوعيًا وحضاريًا واستراتيجيًا مستحيل، المهم أن التقرير يتحدث عن أن المقاومة والانتفاضة تسببت في عجز في الميزانية بلغ ٣٠% من عام ٢٠٠٠ وحتى الآن سنويًا، وأن الميزانية العسكرية تستهلك ٦٠% من عائدات إسرائيل القومية، وإذا كان علاج ذلك ميسورًا عن طريق ضخ

الأموال لإسرائيل من أمريكا أو الدول التي صنعت إسرائيل وتستفيد منها مثل أمريكا حاليًا، فإن علاج الخوف والفزع الإسرائيلي لا يمكن أن يتم لا عن طريق أمريكا ولا غيرها، يتحدث التقرير أيضًا عن أن ٣٠% من المواطنين لديهم رغبة أكيدة في مغادرة إسرائيل، وأن ١٣% من الأسر الإسرائيلية ترفض الإنجاب، وأن معدل المواليد انخفض بنسبة ٥,٢%، وتقول الأسر الرافضة للإنجاب برغم توفر المقومات الشخصية والاقتصادية لذلك إنها لا تريد إنجاب أطفال ليموتوا وأن أحدا في إسرائيل لا يضمن الآن العودة إلى أطفاله سالما أو عودة أطفاله إليه من المدرسة سالمين!!، ويرصد التقرير حالة الهروب من الجيش أو رفض الخدمة في الأراضي المحتلة وتدني حالة الشعور بالوطنية لدي الجيل الجديد الذي يعبر عن رغبته في العيش بأمان. وأنه من الصعب استمرار التوتر إلى الأبد!!، ويعترف التقرير أن هناك شعورًا بعدم الأمان يسيطر على الإسرائيليين، وأن الأولاد والأمهات والزوجات يخشون الآن النزول إلى الشوارع أو التسوق وأن المسألة قد انتقلت من كوننا كنا يقصد إسرائيل نتحكم في مصائر الفلسطينيين إلى أن

الفلسطينيين هم الذين قد يتحكمون في مصير إسرائيل خاصة أنهم يتحركون بلا نظام ومن الصعب بالتالي الإمساك بتلابيبهم أو تحديد وسيلة ناجحة للقضاء على إرهابهم!!

الصراع على المياه
في الشرق الأوسط

(١٨)

الصراع على المياه في الشرق الأوسط:

إذا كان الصراع على البترول قد شكل مساحة كبيرة من معادلات وأحداث المنطقة منذ عقود كثيرة وحتى الآن، فإن الصراع على المياه يمكن أن يكون أشد حدة؛ ذلك أن المياه في التحليل النهائي أهم من البترول وأغلى؛ فهو سر الحياة (وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون) (الأنبياء: ٣٠).

ولاشك أن الإدراك المبكر لأهمية المياه، ومعرفة طبيعة الصراع القادم حولها سيؤثر على أمتنا إذا ما أحسنوا الاستعداد بكثير من الجهد والتضحيات، ويؤمّن لهم مستقبلاً معقولاً، أما إذا ظل العرب في حالة غفلة عن هذه التقنية الخطيرة فإن مجرد وجودهم على سطح الأرض سيصبح أمرًا صعبًا!

ومن المهم هنا أن نقرر حقيقة بديهية، أن هناك علاقة مباشرة بين الأمن العربي بعامة ومسألة تأمين مصادر المياه. وإذا كان الأمن العام لدولة ما هو الإجراءات التي تتخذها تلك الدولة لتحافظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل، فإن فهم الأمن على أنه موضوع الدفاع العسكري

داخليًا وخارجيًا هو أمر سطحي وضيق؛ لأن الأمن العسكري هو وجه سطحي ضيق لمسألة الأمن الكبرى كما يقول

روبرت مكنمارا وزير الدفاع الأمريكي الأسبق؛ فهناك الكثير من الجوانب غير العسكرية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمسألة الأمن القومي، ومن هذه الجوانب بالطبع مسألة الأمن الغذائي والاقتصادي ومسألة المياه على رأس تلك الجوانب.

وإذا أخذنا مسألة الأمن الغذائي كمحدد لفهم مستقبل العالم العربي لوجدنا أن الأمر مفزع؛ ذلك أنه إذا كان من يمتلك غذاءه يمتلك قرارًا؛ فإن وجود فجوة غذائية في العالم العربي تصل إلى حوالي ٣٠ مليار دولار سنويًا هي الفرق بين الصادرات والواردات العربية مما يمثل مشكلة خطيرة، بل ونسبة الاكتفاء الذاتي من أهم السلع الاستراتيجية في مجال الغذاء لا تزيد عن ٣٩%، وهذه النسبة لها أهميتها؛ ونراها في حالة الدول ذات الأهمية في المنطقة العربية مثل مصر التي يبلغ اكتفاؤها الذاتي من القمح ٢٧%.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن السوق العالمية للقمح تتشكل من دول ذات توجهات سياسية ومتعارضة معنا، لأدركنا فداحة المشكلة؛ فالدول الكبرى المسيطرة على سوق تصدير القمح هي"أمريكا، كندا، استراليا، السوق الأوروبية

المشتركة"؛ حيث يمكنها التكتل في احتكار للتحكم ليس في تصدير القمح فقط بل وفي أسعاره كذلك.

وهكذا فإن المسألة الغذائية تفجر بالضرورة مسألة الماء؛ حيث إن الماء هو العنصر الأساس للزراعة القادرة بدورها على سد تلك الفجوة الغذائية. وبالطبع لا تقتصر أهمية الماء على مسألة الزراعة؛ فالماء ضروري للتصنيع أيضًا، فضلاً عن أهميته لتلبية الاستهلاكات البشرية المباشرة من مياه شرب وغسيل وغيرها، وليس عبثًا بالطبع أن تكون معظم الحضارات قد نشأت حول مصادر المياه.

ومشكلة المياه في الوطن العربي ذات أبعاد كثيرة؛ فالوطن العربي يقع في الحزام الجاف وشبه الجاف من العالم، وتقل فيه الموارد المائية المتجددة عن ١% من المياه المتجددة في العالم، ونصيب الفرد العربي من المياه ١٧٤٤ مترًا مكعبًا سنويًا، في حين أن المعدل العالمي يصل إلى ١٢٩٠٠ متر مكعب سنويًا، ومعدل هطول الأمطار في الوطن العربي بين ٥ – ٤٥٠ ملم سنويًا، في حين يتراوح في أوروبا مثلاً بين ٢٠٠ – ٣٠٠٠ ملم سنويًا. وتمثل الصحاري في الوطن العربي مساحة ٤٣% من إجمالي

المساحة الكلية للوطن العربي، وفي عام ٢٠٠٠م حيث بلغ عدد سكان الوطن العربي ٣٠٠ مليون نسمة فإن عجز الموارد المائية العربية يصل إلى ١٢٧ مليار متر مكعب؛ وذلك لأن حجم الموارد المائية المتاحة حاليًا تبلغ ٣٣٨ مليار متر مكعب سنويًا لا يستثمر منها إلا ١٧٣ مليار متر مكعب! في حين أن الوطن العربي يحتاج لتلبية احتياجاته من المياه – إذا أحسن استخدامها، وتم عمل خطط لسد الفجوة الغذائية – إلى حوالي ٥٠٠ مليار متر مكعب من المياه سنويًا.

والموارد ومصادر المياه في الوطن العربي تتمثل في الأمطار والمياه السطحية"الأنهار" والمياه الجوفية، ولعل المشكلة حول المياه السطحية"الأنهار" هي الأهم؛ فالمياه السطحية المتاحة حاليًا للوطن العربي تبلغ ١٢٧,٥ مليار متر مكعب سنويًا، تحوز ثلاثة أقطار عربية حوالي ٧١% منها، هي مصر والعراق والسودان، ومن المفروض أن يزيد حجم الموارد السطحية ليصل إلى ٢٥٦ مليار متر مكعب من المياه؛ أي ضعف ما هو متاح حاليًا عن طريق مشروعات الري والسدود مثل قناة جونجلي في السودان.

وإذا أدركنا أن ٦٧% من مياه الأنهار"المياه السطحية" في البلدان العربية تأتي من خارج بلادهم لعرفنا حجم ما يمكن أن يحدث من مشكلات إذا قام العرب بعمل تنمية أو سدود تؤدى إلى زيادة مواردهم، وعلى سبيل المثال فإن نهر النيل ينبع من إثيوبيا"النيل الأزرق"، وبحيرة فكتوريا"النيل الأبيض"، ويمر في تسع دول إفريقية هي"إثيوبيا، كينيا، أوغندا، تنزانيا، رواندا، بوروندى، والكونغو والسودان ومصر"، ويقطع مسافة من أبعد منابعه على روافد بحيرة فكتوريا نيانزا في قلب إفريقيا إلى ساحل رشيد على البحر الأبيض المتوسط في مصر حوالي ٦٧٠٠ كم.

أما نهرا الفرات ودجلة فينبعان من الجبال الواقعة شمال تركيا، ويمر الفرات عبر سوريا ثم العراق. أما نهر دجلة فيمر من تركيا إلى العراق مباشرة.

وبالنسبة لنهر النيل – مثلا – الذي تعتمد مصر عليه اعتمادًا شبه كامل في اقتصادياتها وخاصة الزراعة؛ فإن نصيب مصر منه يصل الآن إلى ٥٥,٥ مليار متر مكعب سنويًا، والسودان إلى ١٨,٥ مليار متر مكعب سنويًا، وبديهي

أن مصر والسودان يسعيان إلى زيادة مواردهما من مياه النيل عن طريق مجموعة من المشروعات، وهذه المشروعات لن تؤثر على حصة دول المنبع؛ لأن المياه قد تركت أراضيهم بالفعل من ناحية، ولأن هذه الدول لها مصادر مياه غنية جدًا، فإثيوبيا مثلاً التي يأتي منها ٨٥% من مياه النيل المستخدمة في مصر ليست في حاجة إلى مياه النيل أصلاً؛ لأن مواردها المائية أعلى كثيرًا من احتياجاتها، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة؛ حيث تسعي قوى عالمية وإقليمية لحرمان مصر من حصة كبيرة من المياه أو منها على الأقل من زيادة مواردها من تلك المياه؛ فإسرائيل تسعي إلى زيادة نفوذها في القرن الإفريقي ومنطقة البحيرات الكبري، وكذلك أمريكا التي نجحت أخيرًا في تحقيق أكبر قدر من النفوذ على كل من إثيوبيا وأوغندا والكونغو"مينكابيلا" ورواندا وبورندى.

والمخططات المعادية لمصر في هذا الصدد كثيرة؛ فالجيش الشعبي لتحرير جنوب السودان بقيادة جون جارانج المدعوم إسرائيليًا منع إنشاء قناة جونجلي التي كان من الممكن أن تزيد نصيب مصر والسودان من المياه، وهناك

مخطط قديم يقضي بمحاولة تحويل مجري النيل في إثيوبيا، وقد قام المكتب الأمريكي لاستصلاح الأراضي بعمل الدراسات الخاصة به إلا أنه بالطبع لم ينفذ، ولكنه يشكل فكرة في الأدراج يمكن تنفيذها فيما بعد للضغوط على مصر، وهناك الآن عدد من الدراسات الجاهزة لإقامة سدود على النيل في إثيوبيا سوف يمولها البنك الدولي تؤثر على حصة مصر من المياه بنسبة ٢٠% سنويًا، أي ٧ مليارات متر مكعب من المياه، بل ووصل التفكير إلى حد أن هناك خطة تقضي بتحويل كل مصادر المياه في تلك المنطقة لتصب في منطقة البحيرات العظمي في وسط القارة كخزان عملاق للمياه، ثم بيع هذه المياه لمن يريد ويدفع الثمن كالبترول تمامًا، ويمكن كذلك تعبئتها في براميل تحملها السفن أو عن طريق أنابيب لبيعها لدول خارج القارة، وتطالب إسرائيل أيضًا بمدها بنصيب من مياه النيل عن طريق سيناء، وإلا قامت بإحداث متاعب لمصر في منابع النيل في إثيوبيا ومنطقة البحيرات.

وفي الحقيقة إن المطامع الإسرائيلية في مياه النيل قديمة قدم المشروع الصهيوني ذاته، فقد تقدم الصهاينة في

بداية هذا القرن بمشروع إلى اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر لهذا الغرض إلا أن ذلك المشروع قد رفض، وفي عام ١٩٧٤م قام مهندس إسرائيلي"إليشع كيلى" بتصميم مشروع لجلب المياه لإسرائيل من الدول المجاورة على أساس أن إسرائيل ستعاني من مشكلة مياه في المستقبل، ويتلخص المشروع بالنسبة لنهر النيل في توسيع ترعة الإسماعيلية حتى يزيد معدل تدفق المياه داخلها إلى ٣٠ مترًا مكعبًا في الثانية، ونقل هذه المياه عن طريق سحارة تمر أسفل قناة السويس، ثم تصب المياه على الجانب الآخر من القناة في ترعة مبطنة بالإسمنت لمنع تسرب المياه، وتصل هذه الترعة إلى ساحل فلسطين المحتلة وتل أبيب، ثم في خط آخر يتجه جنوبًا نحو بئر السبع لعرب صحراء النقب، وتسعي إسرائيل وفق هذه الخطة إلى الحصول على ٨ مليارات متر مكعب من المياه سنويًا من النيل، وقد تكرر الحديث عن هذا المشروع فيما بعد خاصة بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩م.

وبالنسبة لنهر الفرات الذي ينبع من تركيا ويمر في سوريا والعراق، فإنه نشأت حول حصص المياه والتدفق في

هذا النهر العديد من المشاكل بين كل من تركيا وسوريا والعراق، وتستخدم تركيا مسألة المياه للضغط السياسي على سوريا مثلاً بسبب قضية دعم سوريا للأكراد الأتراك، ومن الناحية الفنية فإن سوريا لديها عجز في المياه يقدر بحوالي مليار متر مكعب سنويًا، ومع قيام تركيا بمشروعات كبري على نهر الفرات تقضي بإنشاء ١٣ سدًا، نفذت بالفعل منها سد أتاتورك عام ١٩٩٠م؛ فإن معدل التدفق في النهر قد انخفض مما أثر على كل من سوريا والعراق، كما أن قيام سوريا بدورها بإنشاء سدود على الفرات يؤثر على العراق الذي يصل إليه النهر في النهاية، بل قد وصلت الأمور إلى حافة الصدام بين سوريا والعراق عام ١٩٧٤م.

وهناك مشروعات يتم التفكير فيها الآن خاصة بعد التحالف العسكري التركي الإسرائيلي بنقل المياه من تركيا إلى إسرائيل عبر أنبوب طويل يسير في البحر المتوسط إلى شواطئ إسرائيل، وهذا يحقق لتركيا موارد مالية من بيع المياه، ويحقق لإسرائيل تلبية حاجاتها من المياه بثمن بسيط، ولكن هذا بالطبع سيكون على حساب كل من سوريا والعراق.

كانت المياه من أهم العوامل التي نشأت بسببها الحروب بين العرب و(إسرائيل)، فالعمليات العسكرية الإسرائيلية على الحدود السورية اللبنانية عامي ١٩٦٤، ١٩٦٥م كانت بسبب الأطماع الإسرائيلية في مياه نهر الأردن ونهر بانياس ونهر اليرموك ونهر الحاصباني، كما كان من أسباب حرب ١٩٦٧م موضوع تحويل مجري نهر الأردن، وفي عام ١٩٨٢م شنت إسرائيل حملة عسكرية على لبنان كان من أهدافها أطماع إسرائيل في نهر الليطاني.

وتسعي (إسرائيل) كما ذكرنا من قبل إلى الحصول على مياه نهر الفرات من تركيا مباشرة، وكذلك الحصول على حصة من مياه نهر النيل عن طريق قناة الإسماعيلية باتجاه النقب وساحل (إسرائيل).

وتعتبر المياه محورًا هامًا من محاور الفكر الصهيوني؛ فبعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م تقدم حاييم وايزمان رئيس المؤتمر الصهيوني آنذاك إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيًا طالبًا تحسين حدود إسرائيل حسب وعد بلفور، لتضم حوض الليطاني وجبل الشيخ وحرمون أي تضم أنهار الأردن وبانياس واليرموك.

ويقول الصهيوني بلسان هوارس عام ١٩٢١م:"إن مستقبل فلسطين بأكمله هو بين أيدي الدولة التي تبسط سيطرتها على الليطاني واليرموك ومنابع الأردن".

وأعلن ديفيد بن جوريون عام ١٩٥٥م"أن اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل، وأننا إذا لم ننجح في هذه المعركة فإننا لن نبقي في فلسطين".

ومن المعروف أن الحدود الإسرائيلية المستهدفة طبقًا للخريطة المعلقة على الكنيست في إسرائيل هي من النيل إلى الفرات أي من ماء إلى ماء.

على كل حال فإن إسرائيل توفر حاجاتها المتزايدة من المياه التي تصل ٣,٥ مليار متر مكعب حاليًا، وتريد إسرائيل زيادتها إلى ١٢ مليارًا للتوسع في مشروعاتها، وتحصل عليها الآن إما من سرقة مياه الآباء العربية بوسائل تكنولوجية معقدة داخل الأراضي المحتلة، أو من مشروعات تستهدف السيطرة على أكبر قدر ممكن من مياه الأنهار العربية وحرمان الآخرين منها خاصة على أنهار الليطاني والحاصباني وبانياس واليرموك والأردن. وبالطبع فإن

الفجوة المائية بين ما تنهبه إسرائيل حاليًا من المياه العربية وبين ما تستهدف نهبه يمكن أن يشكل عنصرًا هامًا من عناصر اندلاع حروب قادمة في المنطقة.

مستقبل الحركة الإسلامية في مصر

(١٩)

مستقبل الحركة الإسلامية في مصر:

النقد والنقد الذاتي واجب إسلامي، فالتوبة الفردية التي يمارسها المسلم أو طلب المغفرة أو الاستغفار، نوع من النقد الذاتي، والتوبة الجماعية التي يمارسها المسلمون في صلاة الجماعة أو في الحج أو غيرهما من المناسك هي نوع من النقد الذاتي أيضًا، والتوبة هنا، سواء الفردية أو الجماعية ليست مجرد التوبة عن الخطايا والذنوب الأخلاقية فقط، بل هي التوبة أيضًا عن الأخطاء الاجتماعية والسياسية أيضًا، والآيات التي نزلت بعد غزوة أحد مثلاً هي نوع من التحليل النقدي لأسباب الهزيمة، وقيام أحد الصحابة في غزوة بدر – أي في معركة وفي أشد حالات الطوارئ – يلفت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة تغيير موقع نزول المقاتلين للسيطرة على الماء هي نوع من النقد والمراجعة التي تؤكد ضرورة ذلك لأنها تمت في حالة الحرب، ومع قيادة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي وجود كبار الصحابة، والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمارس النقد الذاتي علنًا من فوق المنبر أمام جموع المسلمين قائلاً أصابت امرأة وأخطأ عمر وهذه الحادثة أيضًا تدل على إن

من حق ومن واجب الرجال والنساء نقد الحكام علناً مع ما في ذلك من إحراج!

والمسلم مرآة أخيه، ورحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي، وهذه دعوة إلى النقد، والنقد يكون سريًا أو علنيًا فرديًا أو جماعيًا على مستوى الفرد والمجتمع والحركة والأمة. نحن نؤمن بأن مستقبل هذه الأمة، بل مستقبل العالم كله مرتبط بالإسلام والحركة الإسلامية، فالإسلام هو وجدان الأمة ومحركها، وهو دينها وثقافتها وحضارتها، ولن تتحرك تلك الأمة وبالتالي تواجه التحديات أو تتقدم أو تخرج من أزمتها الطاحنة، إلا بالإسلام كذلك، فإن الحركة الإسلامية من المفروض أن تكون طليعة هذه الأمة والمعبر عن وجدانها، وقاطرة للتغيير وخميرة النهضة، وبالتالي فإن برنامجًا صحيحًا واستراتيجية صحيحة، وتكتيكيًا صحيحًا ضرورة من ضرورات تلك الحركة، وضرورة من أجل مستقبل الأمة، وكذلك فإن الإسلام كمنظومة فكرية وسياسية واجتماعية قادر على حل مشاكل العالم، وقادر على إنقاذ المهمشين والمستضعفين وقادر على وقف الاستكبار والظلم في العالم، وهو البديل المرشح الآن بعد فشل الماركسية لأن

يكون إيديولوجية الفقراء والمستضعفين في مواجهة الاستكبار العالمي. ولأن الأمر كذلك فإن الحركة الإسلامية تحتاج الآن بالتحديد لنوع من النقد والنقد الذاتي، يمارسه أبناء الحركة فرادي أو مجتمعين، أو الاستفادة من التجارب والخبرات وطرح الأسئلة الصريحة والقاسية والبحث عن الخلل وتحديده وعلاجه.

ومن هذه الأسئلة.. هل وصلت الحركة الإسلامية في مصر إلى طريق مسدود ولماذا لم تصل إلى أهدافها بعد كل هذا الزمان وكل هذه الجهود والتضحيات، هل كان الخلل في المنهج أو في الممارسة، أو في عدم كفاءة القيادات وهل كانت الأطروحة الفكرية نفسها صحيحة، ولابد أن نقول هنا أن ما سوف نقدمه من نقد أو تحليل في هذا الإطار هو نوع من الاجتهاد بمعني أنه رؤية فيها صواب وخطأ والعظمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، ويجب أن نقول هنا أيضًا، إن التركيز على الأخطاء والخطايا لا يعني أن الحركة لم يكن لها منجزات أو إيجابيات، بل لها الكثير بالطبع، ولا يعني أيضًا أن أسباب الفشل كانت فقط بسبب العوامل الداخلية ولكن أيضًا كان هناك عوامل خارجية بعضها عالمي

وبعضها محلى من مؤامرات ومطاردات وتضييق وغيرها، ولكن مع كل قسوة ذلك، فإننا نري أن لا حركة هناك تهزم من الخارج مهما كانت التحديات، بل تأتي الهزائم عادة من الخلل الداخلي. سنحاول الإجابة عن السؤال المطروح بقوة الآن على الساحة، وهو هل وصلت الحركة الإسلامية – وتحديدًا في مصر – إلى طريق مسدود، ونجيب بصراحة نعم لأن الحركة بكل تياراتها لم تعد قادرة على تطوير نفسها أو معاودة الانتشار أو الوصول إلى أي نتائج استراتيجية، بل بعضها اعترف بخطئه في مجمل ممارساته السابقة، وهو اعتراف يدل على الشجاعة، ويدل على ممارسة المراجعة والنقد الذاتي الجماعي، وهو أمر محمود بالطبع، ولكن الطريق الفكرية التي تمت بها المراجعة وكذلك الآراء التي وصلت إليها تلك المجموعة لمواجهة المستقبل والحاضر تعبر في جانب منها عن نفس الأزمة الفكرية، أي إنها قرأت الواقع خطأ مرتين، وليس هنا مجال مناقشة آرائها الجديدة نقطة نقطة، ففيها الكثير من المنطلقات الصحيحة والبديهيات التي كانت غائبة ولكنها افتقرت إلى تحديد الخطأ المنهجي الذي هو أصل الفشل والتخبط في كل الحركات والممارسات،

ومن ثم وقعت في أخطاء فادحة أخري عند تطبيق مفاهيمها الجديدة على الواقع الحالي والمستقبل.

والخطأ المنهجي إذا ما تم وضع اليد عليه، فسوف يريحنا كثيرًا من القضايا الجانبية، فالعيب لم يكن في مشروعية الحركة كما يزعم البعض، ولا في عدم كفاءة القادة أو عدم إخلاصهم أو انتهازية بعضهم، ولا في التقاعس عن تقديم التضحيات، ولكنه كان خطأ بنيويًا، ذلك إن الحركة لم تسأل نفسها في البداية، من نحن، وماذا نريد، وعلى أي أرضية نتحرك؟

هل نحن دين جديد، أم فرقة دينية جديدة، ما هي العلاقة الصحيحة مع الأمة والمجتمع، أو سألت نفسها أسئلة من ذلك النوع وأجابت إجابة خاطئة عليها، ولاشك إن هذا الخلل البنيوي لم يؤد فقط إلى الوصول إلى طريق مسدود، بل أدى إلى ظهور جماعات وتيارات وممارسات وأفكار متطرفة، ذلك أو عدم اتخاذ الموقف الصحيح سوف يؤدى إلى ظهور انحرافات على الجانبين تهاون – تشدد.

وبديهي إن الحركة الإسلامية ليست دينًا جديدًا، بل هي ملتزمة بما استقر عليه المجموع من عقائد وقضايا

وأفكار، وبديهي إن الحركة الإسلامية ليست فرقة دينية جديدة، فالواقع لا يحتمل ظهور فرقة دينية جديدة، وبالتالي فهي ليست متميزة عن الأمة لا في العقائد ولا في الأفكار، وهكذا فهي ملزمة في مصر مثلاً بالعلوم الإسلامية كما يمثلها علماء الأزهر، وإن كان لبعض العلماء داخل الحركة أو خارجها اعتراضات على بعض القضايا، فصحف الحركة وأدبياتها واجتماعياتها ليست مجالا لمناقشة هذا الخلاف، بل الخلاف على القضايا العلمية يكون داخل معاهد العلم ومن خلال العلماء، والحركة لا علاقة لها بهذا من قريب أو بعيد، وهذا يدفعنا إلى الإجابة عن السؤال: من نحن، والمفروض إننا جزء من هذه الأمة، قررنا تحمل تضحيات أكبر ومسئوليات أكبر وليس وجاهة أو تصدرًا أو قيادة – وبالتالي فنحن نلتزم بأن نكون مجرد طليعة للأمة لخوض تحدياتها الاستعمار – الصهيونية – التخلف – الاستبداد السياسي، الظلم الطبقي – التعصب... الخ وليس أن نكون بديلاً عن الأمة، لأن الأمة – كل الأمة – مسئولة عن خوض المعارك والتحديات.

أي أننا خلايا حية تعمل على تنشيط باقي خلايا الجسد، وليس بمعزل عنه أو بديلاً عنه، لأن ذلك يعني أن نتحول إلى وباء أو سرطان ونضر مهما كانت نوايانا حسنة. وهذا يطرح بدوره فكرة تسمية الجماعة وهو من وجهة نظري مسمي يعبر عن الخلل البنيوي المذكور، حتى لو تم تخفيف الأمر بأنها ليست جماعة المسلمين بل هي جماعة من المسلمين، إننا مرة أخري مجرد طليعة، أو قاطرة أو حتى حزب سياسي ولا عيب في ذلك، لنا أطروحة بشرية تستند إلى الإسلام كمرجعية، ولسنا شعب الله المختار، ولا نمتاز عن الناس بشيء، ونحن مجرد حلقة من حلقات النضال والكفاح سبقتها حلقات وتتبعها حلقات، بمعني إننا لا نمتلك كل الحقيقة، ولسنا الذين اخترعنا الإسلام، ولا حتى الحركة الإسلامية المعاصرة، فالحركة الإسلامية في رأيي هي كل الحركات التي حاولت أن تقود الأمة لمواجهة التحديات الخارجية الداخلية، إنها عبد الكريم الخطابي، وعبد القادر الجزائري وعمر المختار، وعمر مكرم ومحمد كريم والأفغاني والنديم ومصطفي كامل ومحمد فريد وأحمد حسين وحسن البنا وعز الدين القسام وكل من قاوم الاستعمار أو

الصهيونية أو الاستبداد، نحن إذن مجرد حلقة سبقتها حلقات وتتبعها حلقات والوقوف عند حلقة واحدة هو نوع من الجهل والتعصب والجمود، وهو خطأ وخطر على كل مستوى. كلمة الجماعة إذن، والممارسات المرتبطة بالجماعة – شكلت نوعا من العزلة والانعزال، وطرحت نوعًا من التكفير السلبي، أو على الأقل تمييز من هم بداخل الصف عمن هم ليسوا به، أو نوعا من التعامل الخاص بين أفراد الجماعة الواحدة، وبما إن الإسلام ملك للأمة كلها، فهذا نوع من الاحتكار والتكفير الصامت غير المعلن!! وهو أمر خطير جدًا شكلاً ومضمونًا.

فكرة الجماعة، والصف، والتنظيم قادت إلى إشكاليات أخري، فمكاسب الجماعة أو الصف أو التنظيم يجب المحافظة عليها وعدم إهدارها، حتى لو كان ثمن ذلك التخلي عن مطالب الجماهير، أو تأييد موقف يضر بالحريات أو يضر بالفقراء أو يمثل موقفًا صامتًا أو مراوغا تجاه قضية ما، وبديهي إن الجماعة أو الصف أو التنظيم ليست غاية بل هي وسيلة لتحقيق أهداف وغايات وإذا تعارضت الوسيلة مع الغاية يمكن التخلي عن الوسيلة وبالتالي لو كانت المسألة

تجري على أساس إننا مجرد حزب سياسي يري رؤية وبرنامجًا معينًا في وقت معين يمكن أن يتغير ويتطور، ويمكن حل الحزب وعدم التمسك به إذا كان استمراره يتعارض مع المواقف المبدئية والأخلاقية، لكان الأمر أسهل كثيرًا، ولعل هذا يفتح الحديث عن الخطأ الخطير الذي وقعت فيه الحركة الإسلامية في مصر حين لجأت إلى أسلوب العنف – التربية ولاشك أن الأسلوبين خاطئان، وغير ملائمين لأوضاع مصر الاجتماعية والسياسية، والصحيح إن هناك وسطًا بين هذين، وهو النضال السياسي، ولعل هذا يطرح تحليل برامج الجماعات – التي ركزت على قضايا ليست محل اهتمام أي حركة صحيحة باعتبارها ليست دينا جديدًا ولا فرقة دينية جديدة، ولا شعب الله المختار، فالتركيز على فكرة الدعوة مثلاً، هو تفكير غير صحيح فالدعوى تكون لغير المسلمين – هل ندعو المجتمعات الإسلامية إلى الإسلام مثلا، ولكن الصحيح هو النضال من أجل إيقاظ النائمين وتحريك السلبيين والنضال من أجل توسيع الحريات، والنضال من أجل رفع الظلم الاقتصادي أو مواجهة الفساد وعدم تكافؤ الفرص، أو مواجهة الكيان الصهيوني أو مواجهة

التخلف والجهل، أو حتى طرح أنفسنا بالتحالف مع القوى المناهضة للعولمة في العالم كرأس رمح في مواجهة الاستكبار الأمريكي، وطرح الإسلام كمنظومة أو كأيديولوجية للفقراء والمستضعفين في العالم لمواجهة المشروع الأمريكي الصهيوني العولمي وتحالف الرأسماليين والعسكر خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر.

الخطأ المنهجي الآخر – هو عدم إدراك الحركات الإسلامية مسألة الهزيمة الحضارية فلا شك أننا كأمة وكحضارة مهزومون أمام الحضارة الغربية، وفي غضون القرنين الأخيرين على الأقل تم ذلك وتكرس، وأمريكا وإسرائيل والغرب يمتلكون تفوقًا علميًا وعسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا علينا، ولابد أن ندرك هذا المتغير الخطير في حركتنا وكذلك في طريقة فهمنا للأمور وفي مطالبنا السياسية والاجتماعية وعلاقتنا بالحكومات فلسنا في عصر الدولة العباسية مثلاً، حيث يقول الخليفة للسحابة التي تمر أمامه أمطري حيث شيء فسوف يأتيني خراجك، فالذي حدث أننا كأمة وحضارة مررنا بعدد من المراحل، فالمنحني الحضاري لنا سعد، ثم ثبت ثم بدأ في النزول، ولابد من الاعتراف بأننا

في حالة نزول حضاري الآن والسيادة في العالم ليست لنا، واتخاذ قرار معين يمكن أن يؤدى على ضربنا بصواريخ كروز مثلاً أو التعرض لعدوان على غرار العراق وأفغانستان وبالتالي فيدنا ليست مطلقة في كل شيء، الصحيح أن هناك تداخلات دولية وإقليمية لا فكاك منها، وأنه مهما كانت قوتنا فأعداؤنا أقوى بمراحل وبالتالي يجب عدم التركيز على فكرة الحرب النظامية بل المواجهة بالإنسان سلاح الاستشهاد على مستوى التحديات الخارجية، وعلى مستوى محاولة النهضة يجب أن نعمل على عدة مراحل، أي يجب عدم حرق المراحل يجب أن نعترف أولاً بأننا في حالة نزول حضاري، ينبغي تقليل عجلة النزول، ثم تقليل سرعة النزول، ثم إيقاف النزول، ثم إحداث انقلاب في المنحني باتجاه الصعود، ثم الصعود، وهذا يقتضي بالطبع مجهودًا جبارًا لابد من بذله وإلا فسوف تهدر طاقاتنا دائمًا ونعود كل مرة من حيث بدأنا، يجب أن نحدث نوعًا من التراكم المعرفي والخبرة المنقولة دائمًا، وأن نضع في اعتبارنا أننا كحركة في مرحلة ما وبمسمي ما لا تستطيع ولا ينبغي لها أن تحاول حل كل الإشكاليات وأنها ستحقق كل شيء، بل

تعمل على إحداث نوع من التراكم الإيجابي والتقدم خطوة أو خطوات حتى لا تضيع الجهود، وهذا يقتضي نوعًا من التواضع وطول النفس، وهذا يفسر نجاح بعض الحركات التي حددت لنفسها نوعا معينًا من النشاط الاجتماعي مثلاً فقدمت إسهامًا إيجابيًا، في حين إن الحركات التي وصفت نفسها بأنها كل شيء: حركة سياسية وعقائدية واجتماعية ومالية وسلفية ومستقبلية وصوفية وعسكرية.. الخ فإنها تقريبًا فشلت في كل شيء مع ثمن باهظ وهائل بلا مبرر.

قصدت أن أبدأ هذا التحليل بالحديث عن أخطاء وخطايا تكتيكية واستراتيجية في مسيرة الحركة الإسلامية، بل والخلل في منهج علاقاتها بالمجتمع، مقررًا أن هناك خللا بنيويا كان سيفضي في النهاية إلى أزمة حقيقية ما لم تغير تلك الحركة كثيرًا من مفاهيمها وأهدافها وسلوكها وطريقة تعاطيها مع المجتمع وأن ذلك لم يكن له علاقة بأحداث ١١ سبتمبر، وبالتالي فإن عنوان الموضوع ذاته وهو مستقبل الحركة الإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر يحمل في طياته التباسا ينبغي إزالته في البدء، وقد وقع الكثيرون في خطأ الاستنتاج أن أحداث ١١ سبتمبر قد أثرت سلبًا على مستقبل الحركة

الإسلامية أو خلقت لها صعوبات جمة ربما لن تستطيع تجاوزها وأن تداعيات ١١ سبتمبر ربما تقضي على مستقبل الحركة الإسلامية، والصحيح في هذا الصدد إن أحداث ١١ سبتمبر لها تأثيرها بالفعل على الحركة الإسلامية، وسواء كان تنظيم القاعدة أو أسامة بن لادن هو المسئول عن الحادث بطريقة أو بأخرى، فإن الاتهام قد علق بالفعل في رقبة الحركات الإسلامية وبناء عليه تم التعامل معها على إنها العدو الذي ينبغي إعلان الحرب عليه، وتم التضييق على مختلف الحركات الإسلامية، ووضعت معظمها على لائحة الإرهاب، وتم تشجيع أو الضغط على الحكومات لضربها، كما تم تجميد أرصدة بعضها أو حتى الجمعيات الخيرية الإسلامية التي لا صلة لها أصلاً بالسياسة وباختصار فإن هامش الحركة أصبح ضيقًا، والقوى الكبرى والصغرى تترصدها، ولاشك إن هذا تأثير سلبي، ولكن في المقابل فإن خطاب العولمة الأمريكي، والممارسات البشعة التي يعاني منها الشعب كله تقريبًا التي تمارسها أمريكا أو إسرائيل أو رموز الاستكبار في العالم تستفز قطاعات ضخمة من سكان العالم لعمل شيء ضد هذه المنظومة، ومادام المسلمون أو

الحركات الإسلامية نالت شرف تهمة مناهضة أمريكا وإنزال العقاب بها، فإن هذا خلق جبهة واسعة من التعاطف مع الحركة يمكن أن يحولها إلى قطب جديد في مواجهة القطب الأوحد حاليًا، بل يمكن أن يحول الحركة إلى طليعة للمناضلين ضد أمريكا وإسرائيل ورموز الاستكبار ويمكن أن يدفع بمقولة الإسلام أيديولوجية الفقراء لتصبح شعارًا حقيقيًا للمهمشين والمستضعفين في العالم وهم أغلبية طبعًا على الأقل ٨٠% من سكان العالم، وإذا كان حلم العدل لا يموت، ومع الخطاب العنصري والاستفزازى الأمريكي فإن هناك آثارًا إيجابية ضخمة يمكن أن تصب لصالح مستقبل الحركة الإسلامية، وهذا بالطبع متوقف على استيعاب تلك الحركة للصدمة الأولى، واستخدامها لخطاب مقبول ومفهوم، وبناء استراتيجية نضالية تسمح بتلك الاستفادة، على أي حال فقد قررنا من قبل أن الحركات لا تهزم من خارجها، وبالتالي فمهما كانت قسوة آثار أحداث ١١ سبتمبر على الحركة الإسلامية فإن ذلك لن يستطيع هزيمة تلك الحركات أو إنهاء وجودها، ما لم تكن هناك أسباب داخلية وبنيوية تسمح بذلك أصلا، أضف إلى ذلك إن أحداث ١١ سبتمبر لم تأت بجديد

على صعيد استهداف الحركات الإسلامية للداء، بل إنها كانت مجرد مناسبة لإعلان هذا العداء، والتشريع بوتيرة الممارسات المقررة سلفاً في إطار صراع الحضارات وإذا كان من شيء له أثر حقيقي على إزالة هامش التوازن الأمريكي الأوروبي مع الحركات الإسلامية فإنه ليس ١١ سبتمبر، بل سقوط المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفيتي السابق، الذي فتح شهية الولايات المتحدة الأمريكية، وحلفائها لإزالة أي نتوءات معارضة أو مناهضة أو حتى غير متحمسة لأمريكا وإسرائيل، وبالتالي فإن الآثار السلبية الحقيقية نشأت قبل أحداث ١١ سبتمبر بعشرة أعوام على الأقل، ولم تكن أحداث ١١ سبتمبر إلا مجرد مناسبة للإعلان والتشريع ليس إلا، وعلى صعيد الشعوب العربية والإسلامية، فإن ما حدث بعد أحداث ١١ سبتمبر من أمريكا وإسرائيل تحديدًا، أضاف بريقًا هائلاً للخطاب الإسلامي المتصل بالحركات الإسلامية، وجعل جميع القوى السياسية تقريبًا تردد نفس هذا الخطاب حتى ولو كانت في داخلها تمقت الحركات الإسلامية، وكذا فإن الجماهير لاذت بالضرورة إلى الخطاب الإسلامي وكل هذا يصب في خانة الفائدة وليس

العكس شريطة أن تستطيع الحركات الإسلامية إعادة تشكيل نفسها وخطابها للتحول إلى طليعة حقيقية للأمة ومعبرة عنها، علينا إذن أن نصحح الخطأ الشائع عن مسئولية أحداث ١١ سبتمبر عن إضعاف الحركة الإسلامية أو وصولها إلى حالة أزمة، ذلك إن هذا كان قبل ١١ سبتمبر لأسباب داخلية لا تتصل بالعالم الخارجي إلى حد كبير.

الطريق الثالث بين الأجندة الأمريكية والأجندات الحكومية

(٢٠)

الطريق الثالث بين الأجندة الأمريكية والأجندات الحكومية

الإشكاليات المطروحة – فكريًا وسياسيًا – على الواقع العربي المعاصر، هي من النوع الصعب الذي لا يكفي فيه مجرد القبول أو الرفض أو إجراء نوع من الحساب الفكري والسياسي البسيط، بل تقتضي قدرًا هائلاً من الوعي واليقظة والتركيب المعقد والحساب الجدلي وإعادة الاعتبار إلى الثوابت القومية والدينية والوطنية بدون الإخلال بتداعيات العصر، وليس العصرنة المقطوعة عن سياقها التاريخي، بمعني الانجرار وراء القيم الأمريكية بدعوى إن هذه هي موضة العصر.

الأحداث والأفكار فرضت نفسها فرضًا علينا في الآونة الأخيرة، وخاصة تلك المفارقات المتعلقة بموضوع الديمقراطية والمقاومة، والمطالب الأمريكية بالإصلاح السياسي في نفس الوقت الذي نواجه فيه آلة الحرب الأمريكية والإسرائيلية التي تمارس العدوان علينا يوميًا وبصورة واسعة وخطيرة ومؤلمة معًا.

والمسألة تحتاج بالطبع إلى رفع الالتباس حول الموضوعات الشائكة الإرهاب، المقاومة المشروعة، الديمقراطية الأمريكية، حقوق الشعوب، المشروع الأمريكي العدواني في جوهره والقيم المتصلة بالحرية والشفافية والتعددية، التمسك بقيم الإسلام الصحيحة أم الخضوع لتفسير أمريكي للإسلام، المواجهة أم الخضوع، الحركة أم السكون، حقوق الشعوب في العدل والحرية أم الخضوع لمطالب أمريكا بالديمقراطية والإصلاح السياسي، وهكذا فنحن أمام قضايا متقاطعة ومتداخلة، شديدة التداخل والتقاطع والالتباس. إذا بدأنا بالأجندة الأمريكية المعتمدة رسميًا من الإدارة الأمريكية والمتمثلة في وثيقة بوش، وتصريحات القادة الاستراتيجيين الأمريكيين السابقين والحاليين، فإننا لا يمكن في نفس الوقت أن نفصلها عن العدوان الأمريكي على العراق، والممارسات الصهيونية المدعومة أمريكيًا بالكامل، ورغبة السادة الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية في إقامة امبراطورية أمريكية بالقوة والقهر!!

تتحدث أدبيات الأجندة الأمريكية عن محاربة الإرهاب، إزاحة أنظمة الحكم الاستبدادية التي تفرز مناخ

العنف والإرهاب، فرصة الإصلاح الديمقراطي باعتباره رسالة أمريكية!! والمطالب الثلاثة بها قدر هائل من النفاق، فالإرهاب من وجهة النظر الأمريكية ليس ما مارسته أمريكا منذ نشأتها وحتى اليوم بحق الشعوب، ولكنه أي نوع من المقاومة ضد المشروع الأمريكي الصهيوني، وعلى الحكومات والدول والجماعات والأفراد أن تتبنى المفهوم الأمريكي الصهيوني للإرهاب، وأن تقف مع أمريكا وإسرائيل شكلاً ومضموناً، وإلا فإن تلك الحكومات والدول والجماعات والأفراد أشرار إرهابيون يشجعون الإرهاب ويستحقون بالتالي الطرد من الجنة الأمريكية والدخول في نار العقاب الأمريكي سواء بالضرب بالقنابل أو تجميد الأرصدة أو المطاردة القانونية!! الإرهاب في المفهوم الأمريكي الصهيوني هو أن تناضل ضد إسرائيل مثلاً وليس ما تقوم به إسرائيل من قمع يومي على مدى عشرات الأعوام وبصورة متصلة ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية، وهكذا فإن على الدول والحكومات والجماعات والأفراد التخلي مباشرة عن الكرامة والحقوق الوطنية والكف عن إشاعة التحريض ضد المشروع الأمريكي الصهيوني،

والقبول به شكلاً ومضموناً بل ودعمه أحياناً حين الطلب!!
وإذا كان الخيار هنا سهلا شيئاً ما بالنسبة للجماعات والأفراد فإنه شديد الصعوبة – لدرجة الاستحالة – بالنسبة للحكومات والدول، فهي لا تستطيع رفض الأجندة الأمريكية لهشاشة بنيتها من ناحية ولاستحالة ذلك بالنسبة للتوازنات الدولية، وهي في نفس الوقت لا تجرؤ على قبولها علنا لأن ذلك يعني خيانتها مباشرة لحقوق الشعوب والتاريخ والجغرافيا والمستقبل ويعني استفزازها للجماهير وفقدان شرعية وجودها بالتالي، وهكذا فإنها تشعر بأن مستقبلها غامض، وأن ممارسات مسك العصا من الوسط أو المراوغة والنفاق لن تستمر طويلاً ولن ترضي السادة الأمريكيين ولا الشعوب أيضًا، وهكذا فإن الحكومات في مأزق تحسد عليه خاصة إن الممارسات الأمريكية والصهيونية شديدة الاستفزاز والوضوح ولا تحتمل التبرير والتأويل أو تفهم وجهة نظرها، فالعدوان الأمريكي والحصار على العراق مثلاً والمطالب الأمريكية للعراق شديدة الاستفزاز وكذا فإن شارون يحرق كل أوراق التوت التي تتستر بها الحكومات عادة، بل يتعمد إهانة تلك الحكومات وكشف عورتها!!

والأجندة الأمريكية تتحدث أيضًا عن الأنظمة الاستبدادية والفاسدة، وهي حقيقة لا يمكن تجاهلها، ولطالما مارست الشعوب النضال ضدها من أجل حكومات ديمقراطية وشفافية، ولكن الأمريكان أنفسهم كانوا يدعمون ويروجون لهذا الاستبداد وذلك الفساد، ولا شك إن الضغط الأمريكي على هذه النقطة يسئ إلى تلك المعاني، بل يحدث عكس المطلوب وربما كان هذا هو المقصود بالضبط، فتتخلى الجماهير عن النضال ضد الاستبداد والفساد طالما إن ذلك مطلب أمريكي، لأن المعاناة من الممارسات الأمريكية والصهيونية أعلى مما سواها طبعا ولكن من الصحيح والضروري إحداث نقلة فكرية وسياسية وخيال شعبي قادر على استمرار النضال ضد الاستبداد والفساد دون الوقوع في الأجندة الأمريكية والتمسك قبل ذلك وبعده بخيار المقاومة والمواجهة للمشروع الصهيوني الأمريكي، ولاشك إن هذه إشكالية تواجه القوى والحركات والشعوب والأفراد وينبغي بذل الجهد السياسي والفكري والنضالي والحياتي لحل تلك الإشكالية.

أما فرض الإصلاح الديمقراطي على طريقة الأجندة، فهو يعني أولاً تغيير أنظمة الحكم بأنظمة جديدة تتخلى تمامًا عن الثوابت الوطنية والدينية والقومية، وتتبنى مفاهيم العولمة والأمركة، وحقوق الإنسان الفرد قبل المجتمع بما فيها حقوق الشواذ، وهي أمور ملتبسة ومرفوضة، ولكن هذا لا يعني رفض الديمقراطية طبعًا، ولعل هذه إشكالية أخري تواجه الشعوب، أما الحكومات فهي في مأزق حقيقي، فقد اعتادت على الحكم المطلق، وهي غير قادرة على الممارسة الديمقراطية الحقيقية لأن هذه سوف تفرز مباشرة وفورًا القوى المقاومة والمناضلة والشعبية الرافضة أيضًا للمشروع الأمريكي – الصهيوني، ولعل هذا ما تحاول الحكومات نقله إلى الإدارة الأمريكية التي تفهم هذا بالطبع، ولكنها تستخدم تلك الورقة كمجرد تمهيد لإقامة أنظمة حكم أكثر عمالة على غرار حامد قرضاي في أفغانستان أو حتى إقامة حكومات برئاسة جنرالات أمريكيين تومى فرانكس مثلاً مطروح لحكم العراق بعد نجاح العدوان الأمريكي! وهكذا فإن الحكومات في مأزق حقيقي فلا هي قادرة على رفض ذلك ولا هي مقتنعة بحقيقته ولا هي قادرة على تبني السياسة الأمريكية

على طول الخط، وبديهي أن هذا الأمر لن يستمر طويلاً.. ويجب على الشعوب أن تستعد وعلى قواها الحية أن تعمل... وأن تعيد اكتشاف ذاتها وقدراتها وبرامجها، وأن تفرز مشروعًا فكريًا وسياسيًا قادرًا على حل تلك المعضلات والإشكاليات وإقامة الحجة على الناس وفتح طرق الخيارات الصحيحة والمستقيمة والقادرة.. وإلا فإن ضبابًا فكريًا وسياسيًا هائلاً سوف يسيطر على المنطقة إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

لماذا تفشل
مشروعات الإصلاح

(٢١)

لماذا تفشل مشروعات الإصلاح:

منذ أن طرح الرئيس الأمريكي جورج بوش ما أسماه الشرق الأوسط الكبير والذي من المفترض أن تتبناه مجموعة الدول الثماني الكبار في العالم في مؤتمرها القادم، منذ ذلك الحين تبارت حكومات وجماعات ورموز ثقافية وسياسية في طرح تصورات وعقد مؤتمرات وإصدار توصيات حول مشروعات للإصلاح، ولكن الحقيقة أن كل هذه المبادرات محكوم عليها بالفشل لأسباب كثيرة واقعة في بنية هذه الحكومات والجماعات الثقافية والسياسية ولأسباب تتصل بإغفال العنصر الرئيس للإصلاح والنهضة، وهو نفس العنصر الذي فشلت بسبب غيابه كل مشروعات النهضة العربية والإسلامية التي شهدتها تلك البلدان في غضون القرنين المنصرمين.

بداية فإن مشروعات الإصلاح القادمة من الخارج هي بالضرورة فاشلة، لأنها أولاً تفتقد للمصداقية وتتسم بالنفاق، وأهدافها لا علاقة لها في الحقيقة بموضوع الإصلاح أصلا، بل نكاد نقول إن الغرب وأمريكا لا يريدون لنا الإصلاح والديمقراطية والنهضة أو أي شيء إيجابي أصلا،

لا على الأساس الإسلامي ولا حتى على الأساس العلماني ولا على أي أساس، المطلوب فقط هو إعادة هيكلة مجتمعاتنا بما يضمن الخضوع والانصياع الكامل للمشروع الغربي الأمريكي الصهيوني، لا أكثر ولا أقل، ونلاحظ في هذا الصدد أن مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي تم طرحه مؤخرًا لم يكن مشروعًا أو مبادرة؛ بل كان نوعًا من الحكم والعقاب أو عقد الإذعان فهو لم يناقش الحكومات المعنية ولم يهتم بأخذ رأيها؛ بل وضع المشروع هكذا وعليهم التنفيذ، فضلاً عن أن أي مشروع للإصلاح ما لم يستند إلى إرادة شعبية حقيقية فلن ينجح.

وبديهي أن الممارسات الأمريكية والغربية مع شعوبنا تاريخيًا وعقائديًا ووجدانيًا كلها تقود إلى نفرت الشعوب من أي شيء يأتي من هناك، أو على الأقل الشك فيه والارتياب بمضمونه وأهدافه، ويكفي أن مشروع الشرق الأوسط الكبير اهتم بإدخال إسرائيل قسرًا في المنظومة العربية الإسلامية، وهذا مستحيل حتى ولو استند إلى قوة هائلة لأنه ضد حقائق التاريخ والجغرافيا والدين والوجدان، وهكذا فإن مثل هذه المشروعات تولد ميتة وأعتقد أن الذين

جاءوا بها يعرفون هذا ولا يريدون إلا نوعًا من الضغط على الحكومات بها للمزيد من الانصياع والإذعان والانبطاح ووضع الحكومات في حالة رد فعل.

من جانب آخر؛ فإن الضجة الهائلة والتحليلات المستمرة في الصحف والفضائيات والجلسات الثقافية والسياسية والاهتمام المبالغ فيه من الحكومات والمثقفين بالموضوع يعكس قدرًا هائلاً منا لخلل، ولن يكون التفكير في الإصلاح مجديًا إذا تم بناءً على ضغط خارجي، ومجرد الرقص على أنغام الخارج هو في حد ذاته خلل كبير وأحد أسباب الفشل؛ نعم لقد تأخرنا كثيرًا في الإصلاح، نعم نحن في حالة مزرية، وهذه جريمة ارتكبتها الحكومات والقوى السياسية والجماعات الثقافية على حد سواء؛ فالحكومات أدمنت الاستبداد والفساد، وهذه جريمة تستحق عليه المحاسبة، والقوى السياسية لم تمتلك الشجاعة الكافية، ولا الرؤية الصحيحة لمواجهة هذا التحدي لا نستثني من ذلك أحد هذه القوى السياسية مهما كانت مستبعدة أو حتى تعرضت لقهر هائل، هو قهر غير مبرر وهو مجرّم ويستحق الإدانة ولكن ذلك لا يعفيها من المسؤولية، ربما يقلل مسئوليتها

ولكنه لا يعفيها من المسؤولية، والجماعات الثقافية ارتضت في مجملها أن تكون بوقًا للحاكم أو ترديدًا ومرجعًا لصدى الخارج، وبحثت عن المنافع والمناصب والمؤتمرات بالتقرب من المؤسسات الحاكمة أو عن الشهرة والجوائز بالتقرب إلى المؤسسات الغربية حتى لو كان الثمن مثلاً سب الدين أو التخلي عن الثوابت؛ بالطبع لكل ظاهرة استثناءاتها ولكنها استثناءات تؤكد القاعدة ولا تلغيها.

إذا تابعنا ردود الأفعال الحكومية تجاه مبادرة الشرق الأوسط الكبير؛ نجد أن الحكومات أصيبت فجأة بحمي الإصلاح والحديث عنه. والقول إنها كانت تؤمن به وتعدّ له وتجهز أدواته ولكنها تحتاج إلى وقت، وهو كذب صريح (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) (التوبة: ٤٦)

ثم عادت تلك الحكومات تتحدث عن الخصوصية.. وهو حق أرادوا به باطل؛ لأن الخصوصية لا تعني الظلم والفساد والتعذيب في السجون وانتهاك حقوق الإنسان، ثم لاذت الحكومات بمجموعة من المثقفين للتحدث عن الإصلاح وتضع لهم أجندات بهدف امتصاص الضغط الخارجي ليس

إلا؛ وانبرت جماعات المثقفين كل يدلي بدلوه، وكأن الإصلاح، والقضاء على الفساد، وتحقيق الحريات واحترام حقوق الإنسان أو حتى تداول السلطة وتغيير الدساتير مسألة صعبة، وهي ليست صعبة بالطبع، وهي خطوة ضرورية طبعًا، ولكنها لن تحقق الإصلاح هكذا فجأة وبعصا سحرية. وفي هذا الصدد يمكن أن نرصد مؤتمر المثقفين في مكتبة الإسكندرية، الذي تم طبعًا برعاية حكومية سواء اعترف بذلك من اعترف أو أنكر من أنكر، ووصل المؤتمر إلى عدد من التوجيهات حول: الدعوة إلى تداول السلطة، وحرية تكوين الأحزاب السياسية، والي تحرير الصحافة والإعلام، والتوقف التام عن اعتقال الناس في الدول العربية بسبب آرائهم، وإصلاح المؤسسات والهياكل السياسية والإدارية، والفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية فصلاً واضحًا صريحًا.. أو غيرها من التوجيهات التي كان من الممكن لطالب حقوق مثلاً أن يدلي بها بسهولة، ولو كانت المسألة ليست مجرد امتصاص الضغط الأجنبي لقال هؤلاء المثقفون إنهم في حالة اعتصام مستمر وإضراب الطعام مثلاً حتى يتم

الإفراج عن المعتقلين السياسيين في مصر، أو إلغاء قانون الطوارئ مثلاً.

وهكذا فإن التصرف كرد فعل للضغط الأجنبي، وعدم الندم الثقافي على ما فرطنا في حق الوطن طويلاً وافتقادنا لدور المثقف كضمير للمجتمع ورائد للتغيير والتنبيه لمخاطر كزرقاء اليمامة لن يؤدى بالطبع إلى نجاح تلك الخلطة غير السرية.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام هي أن مبادرة جماعة المثقفين بالإسكندرية لم تتطرق إلى موضوع الاحتلال الأمريكي للعراق والممارسات الإسرائيلية بخصوص الفلسطينيين، أو الرفض الصريح لقبول إسرائيل في منظومة الشرق الأوسط. وهكذا؛ فإن هناك شبهات واضحة، حول الهدف الحقيقي من تلك المبادرات: الأهداف الشخصية، والأهداف ذات الصلة بالحكومة، والأهداف ذات الصلة بإرضاء الأمريكان وتقديم البعض أنفسهم لهم كبديل.. وكلها تعرقل الإصلاح وتفقده مصداقيته.

بقي أن نقول إن كل مبادرات الإصلاح من الخارج أو الداخل فشلت وستفشل لعدم إدراكها أن المنوط بالإصلاح

هم الناس.. الأمة.. الجماهير، وأن هؤلاء ليسوا قطعا من الحجر؛ بل لهم تركيبهم الوجداني والعقائدي. جزء من هذا التركيب الحضاري والوجداني أننا أمة لا تنهض ولا نصلح إلا بالمقاومة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلبنا) (العنكبوت: ٦٩)، وإننا ننحط على مستوى الاقتصاد والسياسة والحرية والاجتماع وكل شيء بترك المقاومة"ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا"، وإن الطريق الصحيح للإصلاح يبدأ بمقاومة المشروع الأمريكي الصهيوني في المنطقة، وبدون ذلك فإنه لن يكون إلا قبض الريح وحصاد الهشيم وبناء على غير أساس مهما كانت المطالب والمبادرات والمؤتمرات والتوصيات براقة ولامعة، وحتى لو خلصت نوايا الحكومات والمثقفين والجماعات السياسية.. فبغير المقاومة لا إصلاح ولا تقدم ولا نهضة.

مستقبل الاحتلال الأمريكي للعراق

(٢٢)

مستقبل الاحتلال الأمريكي للعراق:

في تحليل لا يخلو من الدلالة، توصل الخبير العسكري الصهيوني زئيف شيف إلى أن الجيش الأمريكي قد مُني بالهزيمة في العراق على يد المقاومة العراقية، وأن آثار تلك الهزيمة سوف تكون بعيدة المدى وستؤثر على إسرائيل أيضًا. وقال المحلل العسكري الإسرائيلي:"إن سيطرة الجيش الأمريكي على المدن الكبيرة قد أصبحت أضعف مما كانت عليه منذ عام، وأن الوحدات العسكرية العراقية التي شكلتها أمريكا في العراق قد تفككت وانضم عدد من أفرادها إلى المقاومة، وأن التنقل بالطرق بين المدن العراقية بات أقل أمانًا، وأن الاتصالات اللاسلكية بين قوات الجيش الأمريكي ومختلف المراكز تتعطل باستمرار، وإذا ما تقوقع الأمريكيون في معسكرات بعد قيام الإدارة العراقية فإن الأراضي العراقية بين المدن العسكرية سوف تكون في أيدي الثوار، وأن مثل هذا التدهور يذكرنا بوضع الفرنسيين في مرحلة ما في الهند الصينية، وأنه إذا فقد الأمريكيون تأييد الغالبية الشيعية؛ فإن حربهم في العراق سوف تصبح مشكلة المشاكل، وأن الإدارة الأمريكية يبدو عليها التخبط

الاستراتيجي، وبعد لجوء واشنطن للأمم المتحدة لكي تساعدها في الخروج من مأزقها بالعراق لم يعد واضحًا ما الذي ينبغي أن يعتبر كنصر أمريكي، ولا يقل في ذلك أهمية تقييم وتقدير الدلالات الاستراتيجية في حالة ما سُجل إخفاق ذريع للأمريكيين بالعراق، إنها ستكون دلالات كونية بعيدة المدى سوف تؤثر على إسرائيل أيضًا".

الفشل الأمريكي.. حقيقة معروفة:

الهزيمة الأمريكية في العراق أو الفشل الأمريكي الذريع في العراق بات حقيقة معروفة يعترف بها كبار القادة والمحللين في أمريكا ذاتها وفي إسرائيل"الحليف الاستراتيجي". يعترف بها البعض مباشرة – خارج الإدارة الأمريكية – ويتحدث بها داخل الإدارة الأمريكية كبار رموزها ولكن بطريقة غير مباشرة؛ فالرئيس الأمريكي جورج بوش لم يعد يتحدث عن انتصار أمريكي؛ بل عن تبرير استمرار الجيش الأمريكي في المستنقع العراقي رغم الفشل قائلاً"إن الجيش الأمريكي صامد في العراق، ولن يتركها للإرهابيين ولن يفر أمام الأشرار"، وهو بهذه الطريقة يخطب طرفين: الطرف الأول هو الجمهور الأمريكي على

أساس أن الخسائر الكبيرة في العراق ثمن لعدم انتصار الإرهابيين، وبالتالي تشكيل مخاطرة كبيرة على أمريكا في الخارج والداخل أيضًا، أي أن الجيش الأمريكي يخوض المعركة ضد الإرهاب خارج الأراضي الأمريكية بدلاً من خوضها داخل أمريكا، وبالتالي فعلى الجمهور الأمريكي تحمل الخسائر وانتظار النعوش العائدة. والطرف الثاني: هم العملاء في العراق حتى لا ينهاروا فجأة عند إحساسهم باقتراب الانسحاب الأمريكي من العراق وتركهم في العراء أمام الشعب العراقي الثائر عليهم ليواجهوا عقوبة الخيانة، وهو إحساس أصبح قويًا لدى الأطراف المتعاونة مع أمريكا في العراق.

أمريكا تحاول التخلص من الفشل بأكثر من طريقة، وكل هذه الطرق فشلت أو محكوم عليها بالفشل؛ فليس هناك تغيرًا نوعيًا مثلاً إذا ما كان من يحكم العراق لحساب أمريكا هو مجلس الحكم أو الحكومة المعينة من الأمم المتحدة، أو حتى حكومة منتخبة؛ فإذا انسحبت القوات الأمريكية إلى قواعد داخل المدن، فأيـــاً كان الوضع السياسي العراقي؛ فإن الثوار سيسيطرون على المدن والطرق، ويصبح مأزق

الأمريكان في قواعدهم أسوأ، وإذا استمرت القوات الأمريكية داخل المدن فإن شيئًا لم يتغير، وسواء كانت سلطات الاحتلال تدار من المنطقة الخضراء أو من سفارة ترفع العلم الأمريكي فإن شيئًا لم يتغير، ولا تنطلي هذه اللعبة على المقاومة.

تصاعد المقاومة:

والمقاومة بدورها تزداد قوة مع التخبط الأمريكي الاستراتيجي، ومع كل محاولات التجريب من مجلس انتقالي، إلى حكومة معينة، إلى حكومة منتخبة؛ فالأوضاع الأمنية والاقتصادية تتدهور. وهذا يؤثر على كل الشعب العراقي سنة وشيعة وغيرها، وكل هذا يصب لصالح المقاومة، والتململ داخل الشيعة وظهور قوى شابة مثل الصدريين (نسبة إلى مقتدى الصدر). وأيًّا كانت درجة ترددها فإن سقوط الضحايا من الشيعة مع الأزمة الاقتصادية والسياسية سيدفع القطاع الأكبر منهم للخروج على قيادات الحوزة الصامتة باتجاه المقاومة، وهو أمر خطير جدًا، بالنسبة للأمريكان، والحديث عن حكومة إفساد أو القضاء على استبداد النظام السابق لم يعد حديثًا جديًا، لا داخليًا ولا

خارجيًا بعد فضيحة التعذيب الأمريكي لمعتقلين العراقيين في السجون العراقية، وخاصة سجن أبي غريب، أما اللجوء إلى الأمم المتحدة، أو محاولة توريط أطراف عربية أو دولية في المستنقع العراقي؛ فإن الأمر قد فات وانتهي، والجميع يخشى ثمنًا باهظًا إذا فعل ذلك على يد المقاومة العراقية الباسلة.

على كل حال فإن مظاهر وأعراض الفشل الأمريكي باتت واضحة، ولعل من أهمها الخلافات والصراعات داخل معسكر الأمريكان أنفسهم (الصدام مع الجلبي مثلاً) وهو نوع من التعبير عن الضيق الأمريكي بالذين ورطوهم في المستنقع.

الانسحاب.. ليس سهلاً:

ولكن؛ هل ينسحب الأمريكان؟ الأمر ليس بهذه السهولة، وإذا كانت كل العناصر التكتيكية تقول إن الانسحاب الأمريكي من العراق بات محتومًا، فإن هناك عوامل استراتيجية أخري تعطل صدور هذا القرار من المؤسسة الأمريكية الحاكمة"وهي فوق الحزبين الجمهوري والديمقراطي على حد سواء وأقوى من أي رئيس أمريكي".

هذه العوامل الاستراتيجية لا تتصل بهيبة أمريكا مثلاً أو خسارة الحرب ضد الإرهاب؛ فهذه أمور يمكن احتمالها، ولكنها تتصل بمستقبل إسرائيل، ومن المعروف أن اللوبي الصهيوني قام بدور كبير في جر إدارة الرئيس بوش إلى غزو العراق، وبديهي أن هذا اللوبي لا يريد الانسحاب الأمريكي من العراق؛ لأن ذلك معناه انتشار روح عالية من المقاومة إلى داخل فلسطين والعرب والمسلمين ما يشكل أكبر الخطر على وجود إسرائيل ذاته، وكذلك فإن القوى الحاكمة في الغرب عمومًا، وفي أمريكا خصوصًا ترى أن الانسحاب من العراق يعني خسارة الغرب كله وليس أمريكا أمام العرب والمسلمين، الأمر الذي لم يحدث منذ مئات السنين، وربما يؤدى إلى بداية صعود المسلمين ونهاية الغرب. وفي هذا الصدد فإن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عبّر عن نفس المعني بقوله:"إن معركتنا في العراق معركة استراتيجية يجب أن ننتصر فيها بأي ثمن"، وقوله:"لو قدر لبريطانيا الانسحاب من العراق فإن المتشددين سيطلبون خروج القوات الأجنبية من أفغانستان، ومن ثم الشرق الأوسط كله"، وقوله:"إن هزيمة أمريكا في العراق هزيمة للغرب كله". ثم

قول هنري كيسنجر – أحد حكماء الغرب–:"هل تعرفون معني الهزيمة في العراق؟! إن معناه خسارة الغرب لكل ما حققه في خمسة قرون".

الشرق الأوسط الكبير

(٢٣)

الشرق الأوسط الكبير:

الشرق الأوسط الكبير أو الشرق الأوسط الأوسع نطاقًا أحدث صيحة في عالم المبادرات الأمريكية والأوروبية لإعادة صياغة المنطقة بما يخدم المصالح الأمريكية والصهيونية والفرنسية عمومًا. المسألة إذًا ليست جديدة تمامًا ولكن فيها ما هو جديد أيضًا فمثل هذه المشروعات والمبادرات لم تنقطع منذ حرب الكويت عام ١٩٩١ في إطار انفراد أمريكا بالهيمنة على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق والمنظومة الاشتراكية والتواجد الفعلي للقوات الأمريكية في المنطقة بعد حرب الكويت عام ١٩٩١ لتكمل مع إسرائيل حلقة الاحتلال والهيمنة، وقد شهدنا مثل تلك المبادرات منها ما يسمي بالسوق الشرق أوسطية، وهي فكرة أمريكية صهيونية تستهدف إدماج إسرائيل في المنطقة وإفقاد العرب والمسلمين الهوية والثقافة والتميز الحضاري وبالتالي الانتماء إلى الشرق الأوسط أو عالم المصالح و(البيزنس) والسلام – وهو وهم طبعًا-. ثم ما يسمي الانتماء لبحر المتوسط، وهي فكرة أوروبية تحقق أهدافًا قريبة من الأهداف السابقة، أي استبدال الانتماء العربي والإسلامي بالانتماء إلى

ثقافة البحر المتوسط، وهذه بالطبع أقل خطرًا من الشرق أوسطية رغم أنها تدمج إسرائيل أيضًا في المنطقة، ولكنها تتعارض شيئًا ما مع المفهوم الأمريكي للمنطقة.

ثم بعد ذلك ظهرت مبادرة (كولن باول) للشراكة والسلام والتنمية، وقد تم رصد اعتمادات وأموال وإنشاء صحف وقنوات فضائية وتليفزيونية للتبشير بتلك القيمة وغيرها، ثم أخيرًا مشروع بوش المسمي بالشرق الأوسط الأوسع نطاقًا، وهو يضم حسب تعريف بوش نفسه العالم العربي + إسرائيل + إيران، وباكستان، وتركيا، وأفغانستان؛ أي نطاق عربي إسلامي يقبل باندماج إسرائيل فيه وهو هنا يشبه مشروع الشرق أوسطية المعروف، ثم حديث عن التنمية، وعن الرخاء وأرقام عن تدني الدخول، وتدني مستوى المعيشة، تفشى البطالة والأمية، وكأن السيد الأمريكي اكتشف ما هو غير معروف لحالتنا. بديهي فإن الوعد هنا الرخاء الاقتصادي وهو وهم طبعًا (فالحدأة لا تلقي بالكتاكيت)، المهم في المسألة أن ذلك كله بشرط دعم اقتصاد السوق، أي تسليك مواسير النهب والهيمنة وإعادة هيكلة المجتمعات لإفقادها الهوية والثقافة، ثم حديث عن دور المرأة

وتحريرها، وهو حديث ممجوج من كثرة تكراره وحق يراد به باطل، وكذا دعم مؤسسات المجتمع المدني طبعًا بشروط أن تكون تلك المؤسسات ناشيء في ظل العولمة ووفقًا لمفاهيمها وأجندتها وليست مؤسسات أهلية إسلامية كانت ولا تزال معروفة ومؤثرة، وأخيرًا الحديث التقليدي عن الديمقراطية وحقوق الإنسان ونزاهة الانتخابات ووقف التعذيب والانتهاكات، وهو حديث منافق تمامًا لأنه يمس وترًا حساسًا وصحيحًا، ولكنه نوع من الخيار بين الوهم والجحيم؛ وهم إمكانية تحقيق الحرية عن طريق الاستعمار، وجحيم دعم الحكومات المستبدة نكاية في أمريكا. وينبغي بالطبع أ، نكون موقفًا مركبًا يرفض الاستعمار ويرفض الاستبداد في نفس الوقت.

دكتاتورية ونفاق:

على كل حال فإن الحديث المنافق عن الديمقراطية وحقوق الإنسان يستدعي قدرًا أكبر من المناقشة ووضع النقاط على الحروف، فبداية فإن الذي صنع الديكتاتورية وصنع التطور الاجتماعي الصحيح في المنطقة هو الاستعمار ذاته وأمريكا وإسرائيل تحديدًا، وجورج بوش نفسه اعترف

بأن أمريكا دعمت الاستبداد في المنطقة لمدة ستين عامًا، وقد آن الأوان لوقف هذا الخطأ والجزء الأول من كلام بوش صحيح؛ وبالتالي ينبغي لإصلاح الخطأ الاعتذار ودفع التعويضات للمتضررين وهم كثير من الذي انتهكت حرياتهم ومحاكمة المسؤولين عن ذلك أمثال كسينجر وكلينتون وبوش الأب وفيهم من لا يزالون أحياء مثلاً!!

أما الجزء الثاني من كلام بوش فهو نفاق محض، ذلك أن أمريكا نفسها لا تطيق ولا تقبل حكومات منتخبة ومقبولة شعبيًا ولا تقبل بديمقراطية حقيقية في المنطقة؛ لأن ذلك يقود مباشرة إلى ظهور التيار الإسلامي وثقافة المقاومة وهما خطر على المشروع الأمريكي الصهيوني قطعًا، ثم إن التاريخ القديم والحديث بل والآتي للولايات المتحدة لا يبشر بذلك؛ فهي أولاً دولة قامت على إبادة شعب آخر ثم استرقت السود ثم مارست طوال تاريخها العدوان على الآخرين وارتكبت من المذابح ما يكفي لتسويد صفحتها، ثم هي التي أسقطت الديمقراطيات ودعمت المستبدين وتآمرت ضد زعماء وطنيين.. الخ.. ثم هي نفسها التي تدعم إسرائيل التي تنتهك كل حقوق الشعب الفلسطيني يوميًا على مدار الساعة،

وهكذا فإن الحديث عن الديمقراطية أمريكيًا هو نفاق محض، أضف إلى ذلك أنه على مستوى اللحظة والراهن؛ فإن أمريكا قد ثبت كذبها في موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان في كل من أفغانستان والعراق فلم تحقق في أي من البلدين لا الرخاء ولا الأمان ولا الديمقراطية؛ بل العكس كان هو الصحيح على طول الخط، فالبطالة زادت والمعاناة الاقتصادية تفاقمت والأمن والأمان ضاعا تمامًا، فضلاً عن فقدان الاستقرار والكرامة.

أمريكا فقدت المصداقية:

وعلى مستوى الأحداث الجزئية ذات الدلالة؛ فإن قيام القوات الأمريكية بقتل أسري قلعة جانجي في أفغانستان، وإصدارها الأوامر بقتل كل أسير ينتمي لطالبان والقاعدة، ثم ما حدث ويحدث في معتقل جوانتانامو والتعذيب والمهانة في سجن أبي غريب وغيره من السجون في العراق، وكذا الممارسات القمعية والتمييزية والعنصرية ضد العرب والمسلمين في أمريكا كلها تقول بأن فاقد الشيء لا يعطيه وأن حديث أمريكا عن الديمقراطية هو نفاق محض.

في هذا الصدد فإن أحدًا لا يصدق أمريكا حتى الأمريكيين والأوروبيين بل والمتعاطفين مع النموذج الأمريكي بين المثقفين العرب؛ فالمفكر الأمريكي (فوكوياما) صاحب نظرية نهاية التاريخ"التي بشر فيها بسيادة الليبرالية الغربية يري أن دعوة أمريكا إلى الديمقراطية تفتقر إلى المصداقية، والصحفي البريطاني (روبرت فيسك) يقول الشيء نفسه مع إضافة أن أمريكا تدعم الطائفية وتمنع الديمقراطية في العراق؛ بل ويقول: إن الغرب نفسه هو الذي منع التطور الديمقراطي في المنطقة؛ فبريطانيا مثلاً هي التي منعت بالقوة التطور الديمقراطي في مصر في الثلاثينيات من القرن الماضي. والدكتور (عبد المنعم سعيد) وهو مفكر مصري وصحفي بالأهرام ورئيس مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية وهو بالمناسبة مع النموذج الأمريكي وضد المقاومة ومع التطبيع.. الخ اكتشف أخيرًا أن الاستثناء الأمريكي بخصوص الديمقراطية قد انتهي، وأن المدينة على التل قد أصبحت معتمة!! وأن هناك أيديولوجية شوفينية بدأت تترعرع في أمريكا ذاتها.

الجديد في المبادرة:

الجديد في مبادرة الشرق الأوسط الكبير هو أن الأمريكان قد لجئوا هذه المرة إلى إشراك الأوروبيين في المسألة، وهذا بالطبع جاء تحت ضغط المقاومة العراقية التي يمكن أن تتحول إلى حالة عربية إسلامية وتكون خطرًا على المشروع الغربي برمته وليس المشروع الأمريكي فقط، وأمام مثل هذا الخطر؛ فإن أمريكا تتخلى عن غطرستها وتشرك الأوروبيين معها والأوروبيون يتنازلون عن مصالحهم المتعارضة مع أمريكا لمواجهة هذا الخطر ويشاركون الأمريكيين في المسألة، وهذا ما يفسر قبول الأوروبيين بالمشاركة في المبادرة، بل وتتخلى ألمانيا عن معارضتها لأمريكا عمومًا وهكذا أقوال وزير خارجيتها التي تصب في دعم أمريكا تمامًا، وهذا الموقف ليس جديدًا لا على أوروبا ولا على أمريكا؛ فهناك بالطبع تناقضات مصالح بين هذه الدول وبعضها ولكنها تناقضات ثانوية في النهاية يتم تسويتها باقتسام الكعكة أو زوالها بظهور خطر حقيقي عليها كلها مثل خطر المقاومة والتاريخ مملوء بنماذج لزوال تلك التناقضات الثانوية مثل ترحيب فرنسا بالاحتلال الإنجليزي

لمصر ١٨٨٢؛ وذلك لذبح الثورة العرابية لأنها كانت تشكل خطرًا على المشروع الاستعماري الأوروبي بأكمله وقد قال ذلك مباشرة وزير خارجية فرنسا في إطار تهنئته للإنجليز بهزيمة عرابي، والأمر نفسه حدث في الاتفاق الودي الفرنسي الإنجليزي عام ١٩٠٤ والذي ضربت فيه فرنسا الحركة الوطنية المصرية في ظهرها بعد أن أظهرت لها التأييد قبل ذلك وهو نفسه ما يفسر الموقف الفرنسي"الضمير الفرنسي المطاط" في الموقف من العراق منذ عام ١٩٩٠ وحتى الآن والموقف الألماني مؤخرًا والموقف الروسي"السوفيتي" عام ١٩٦٧...، وغيرها من الأمور التي تبدو غير مفهومة بعض الوقت ما لم يتم وصفها في إطار نظرية التناقضات الثانوية التي تزول أمام التناقض الجوهري وهو التناقض بين الحضارة الإسلامية ككل والحضارة الغربية ككل!

صناعة خارجية مرفوضة:

بقي أن نقول إن تلك المبادرات تأتي بطريقة فوقية، فلا الشعوب شاركت في مناقشتها – وهذا طبيعي – ولا حتى الحكومات الصديقة للغرب ثم استشارتها وهذه إهانة لها!

وهي مبادرات على طريقة القص واللصق، ومهما كانت النية وراءها؛ فإن الجسم العربي الإسلامي سيرفضها بالضرورة بحكم التكوين الحضاري والثقافي وبحكم الحساسية التاريخية وبحكم أنها صناعة خارجية.

دكتاتورية ونفاق:

على كل حال فإن الحديث المنافق عن الديمقراطية وحقوق الإنسان يستدعي قدرًا أكبر من المناقشة ووضع النقاط على الحروف، فبداية فإن الذي صنع الديكتاتورية وصنع التطور الاجتماعي الصحيح في المنطقة هو الاستعمار ذاته وأمريكا وإسرائيل تحديدًا، وجورج بوش نفسه اعترف بأن أمريكا دعمت الاستبداد في المنطقة لمدة ستين عامًا، وقد آن الأوان لوقف هذا الخطأ والجزء الأول من كلام بوش صحيح؛ وبالتالي ينبغي لإصلاح الخطأ الاعتذار ودفع التعويضات للمتضررين وهم كثير من الذي انتهكت حرياتهم ومحاكمة المسؤولين عن ذلك أمثال كسينجر وكلينتون وبوش الأب وفيهم من لا يزالون أحياء مثلاً!!

أما الجزء الثاني من كلام بوش فهو نفاق محض، ذلك أن أمريكا نفسها لا تطيق ولا تقبل حكومات منتخبة

ومقبولة شعبيًا ولا تقبل بديمقراطية حقيقية في المنطقة؛ لأن ذلك يقود مباشرة إلى ظهور التيار الإسلامي وثقافة المقاومة وهما خطر على المشروع الأمريكي الصهيوني قطعًا، ثم إن التاريخ القديم والحديث بل والآتي للولايات المتحدة لا يبشر بذلك؛ فهي أولاً دولة قامت على إبادة شعب آخر ثم استرقت السود ثم مارست طوال تاريخها العدوان على الآخرين وارتكبت من المذابح ما يكفي لتسويد صفحتها، ثم هي التي أسقطت الديمقراطيات ودعمت المستبدين وتآمرت ضد زعماء وطنيين.. الخ.. ثم هي نفسها التي تدعم إسرائيل التي تنتهك كل حقوق الشعب الفلسطيني يوميًا على مدار الساعة، وهكذا فإن الحديث عن الديمقراطية أمريكيًا هو نفاق محض، أضف إلى ذلك أنه على مستوى اللحظة والراهن؛ فإن أمريكا قد ثبت كذبها في موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان في كل من أفغانستان والعراق فلم تحقق في أي من البلدين لا الرخاء ولا الأمان ولا الديمقراطية؛ بل العكس كان هو الصحيح على طول الخط، فالبطالة زادت والمعاناة الاقتصادية تفاقمت والأمن والأمان ضاعا تمامًا، فضلاً عن فقدان الاستقرار والكرامة.

أمريكا فقدت المصداقية:

وعلى مستوى الأحداث الجزئية ذات الدلالة؛ فإن قيام القوات الأمريكية بقتل أسري قلعة جانجي في أفغانستان، وإصدارها الأوامر بقتل كل أسير ينتمي لطالبان والقاعدة، ثم ما حدث ويحدث في معتقل جوانتانامو والتعذيب والمهانة في سجن أبي غريب وغيره من السجون في العراق، وكذا الممارسات القمعية والتمييزية والعنصرية ضد العرب والمسلمين في أمريكا كلها تقول بأن فاقد الشيء لا يعطيه وأن حديث أمريكا عن الديمقراطية هو نفاق محض.

في هذا الصدد فإن أحدًا لا يصدق أمريما حتى الأمريكيين والأوروبيين بل والمتعاطفين مع النموذج الأمريكي بين المثقفين العرب؛ فالمفكر الأمريكي (فوكوياما) صاحب نظرية"نهاية التاريخ" التي بشر فيها بسيادة الليبرالية الغربية يري أن دعوة أمريكا إلى الديمقراطية تفتقر إلى المصداقية، والصحفي البريطاني (روبرت فيسك) يقول الشيء نفسه مع إضافة أن أمريكا تدعم الطائفية وتمنع الديمقراطية في العراق؛ بل ويقول: إن الغرب نفسه هو الذي منع التطور الديمقراطي في المنطقة؛ فبريطانيا مثلاً هي التي

منعت بالقوة التطور الديمقراطي في مصر في الثلاثينيات من القرن الماضي. والدكتور (عبد المنعم سعيد) وهو مفكر مصري وصحفي بالأهرام ورئيس مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية وهو بالمناسبة مع النموذج الأمريكي وضد المقاومة ومع التطبيع.. الخ اكتشف أخيرًا أن الاستثناء الأمريكي بخصوص الديمقراطية قد انتهي، وأن المدينة المضيئة على التل قد أصبحت معتمة!! وأن هناك أيديولوجية شوفينية بدأت تترعرع في أمريكا ذاتها.

مانفستو المقاومة

(٢٤)

مانفستو المقاومة:

مع كثرة الحديث عن مشروعات الإصلاح، وكثرة الأطروحات التي تنافس حالة التخلف والانحطاط العربي والإسلامي، فإن من الضروري علميًا وموضوعيا وشرعيا تحديد نقطة الانطلاق الصحيحة ومن ثم البرنامج الملائم للإقلاع من تلك الحالة التي تعاني منها أمتنا.

إذا كان من الضروري بداية – لوضع تصور صحيح للإقلاع والإصلاح أن نحدد طبيعة الجماعة البشرية التي نحن بصدد تحديد أمراضها ومن ثم وضع الوصفية الصحيحة لعلاجها، وكذا طبيعة التحدي والأمراض التي توجهها تلك الجماعة البشرية، أي الانطلاق من نقطة مبدئية وهي أننا لا نتعامل مع جماعة بشرية مصمتة ليس لها سمات ولا خصائص وكذلك أننا لا نتعامل مع مجموعة أحجار أو أشياء مادية تخضع فقط لقانون وسنن الفيزياء والكيمياء... الخ، لكان علينا في البداية تحديد من هي هذه الجماعة البشرية التي نحن بصددها، وبدون الدخول في تفصيلات كثيرة فنحن أمام جماعة بشرية – العالم العربي والإسلامي – لها تاريخ وحضارة وثقافة عميقة جدا – وبصرف النظر عن

إيجابية أو سلبية تلك السمات الثقافية والحضارية لتلك الجماعة – فإن هذه الجماعة تتأثر بالضرورة بتلك السمات الثقافية والحضارية ومن ثم فإن تجاهلها يؤدى مباشرة إلى الفشل بل تكريس الحالة التي نريد علاجها، هذه الأمة إذن أمة إسلامية شئنا أم أبينا، وبالتالي فإن المكون الرئيسي والأساسي لوجدان وثقافة هذه الأمة هو الإسلام كدين وحضارة وثقافة بالنسبة للمسلمين (الأغلبية الساحقة) وكثقافة وحضارة بالنسبة لغير المسلمين داخل تلك الأمة، وهكذا فإن شرط النجاح الأول لأي مشروع هو إسلاميته ونحن في الحقيقة أمام أمة هي الأعمق ثقافيًا وحضاريًا بلا استثناء – بالنسبة لكل الجماعات البشرية (١٤ قرنا على الأقل واتساع جغرافي وامتداد زماني وثقافي وتأثير واضح للإسلام لا تخطئه عين أي مراقب – وهكذا فإن وهم تغييب الإسلام والحضارة والثقافة الإسلامية – بوعي أو بدون وعي – كرها أو رغبا هو قفزة فاشلة في المجهول والفراغ، ولن تحدث مطلقًا مهما فعلنا أو فعل غيرنا، إنها محاولة محكوم عليها بالفشل ونتيجتها الحتمية ضياع الوقت والجهد ومسخ ذلك الكيان جزئيًا ومن ثم تعطيله عن التصدي الصحيح

والكفء للتحديات والأمراض، وهذا بالتحديد هو السبب الأساسي لفشل كل مشروعات النهضة على الأساس غير الإسلامي (العلماني الليبرالي) العلماني القومي، العلماني الاشتراكي بكل درجاته) والنتيجة هي ما نشاهده الآن من نتائج تلك المحاولات التي استقطعت من عمرنا وجهدنا الكثير بلا طائل، بل بنتيجة عكس المطلوب تمامًا، الإسلامية إذن هي الشرط الأول لأي مشروع للإصلاح، ولكن العنوان لا يكفي فلابد من تحديد ما تحت العنوان وما بعد العنوان وإذا قلنا أن هذه الأمة غير قابلة للذوبان الحضاري لأنها الأعمق حضاريًا وثقافيًا، فإن هذا يقود إلى الإيمان باستحالة هزيمتها هزيمة عسكرية وسياسية نهائية، وإذا بدأنا من تحديد أسباب التراجع وقلنا أن المنحني الإسلامي صمد منذ البعثة المحمدية ثم ساد العالم، ثم ثبت هذا المنحني، ثم نزل وأننا الآن في حالة نزول حضاري – هزيمة تكنولوجية واضحة – يجب الاعتراف بها أولا، ثم العمل على تجاوزها ثانيًا، وإذا بحثنا عن سبب نزول هذا المنحني – وقبل ذلك سبب صعوده، لكان من الممكن تلخيص المسألة في كلمة واحدة، هي كلمة الجهاد، فطالما قامت هذه الأمة بالجهاد، كواجب

شرعي وفعل حضاري لإنقاذ المستضعفين في العالم – كلما صعد المنحني الحضاري لأمتنا وكلما تخلينا عن هذا الواجب وأبطلنا هذه الفريضة أو اكتفينا بالدفاع توقف صعود المنحني ثم ثبت ثم نزل، ومن ثم فإن الصعود مرتبط باستعادة هذا الفعل، وفي الحقيقة أن كثيرًا من الأطروحات – بعضها إسلامي طبعًا – حين تتجاهل هذا البعد، وتتحدث مثلا عن التنمية الاقتصادية، الإصلاح السياسي – التربية... الخ، فإنها تكرس التخلف، لن نحقق الوحدة مثلا، ولا الإصلاح الاقتصادي، ولا الإصلاح السياسي إلا إذا جاهدنا والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا وهكذا فإن الجهاد هو كلمة السر الصحيحة والوحيدة، الجهاد هو شرط التقدم الاقتصادي والاجتماعي وشرط التنمية الحقيقية وشرط كل شيء صحيح وجميل، فإذا أردنا أن نحقق زراعة أو صناعة أو تعليم أو تربية أو حتى تفوق فني وأدبي فإن الجهاد هو الشرط الأول، وهذا المعني الصحيح للآية المذكورة سابقا، وللحديث الشريف كذلك يجب بالطبع إدراك بعد الهزيمة التكنولوجية، والاعتراف بها ويجب أن ندرك أن علينا في البداية أن نقلل سرعة نزول المنحني الحضاري

لأمتنا، وأن نوقف هذا النزول تماما، ثم تحدث انقلابا في المنحني ثم نصعد من جديد إن شاء الله، وبدون هذه المراحل فإننا نقفز في الهواء – وهذا لعمري كان خطأ الحركات السياسية الإصلاحية عموما والإسلامية منها خصوصا حتى الآن، يجب تقديم اجتهاد فكري وحركي وفقهي يلائم هذا الظرف ويحقق أقصى قدر من فريضة الجهاد.

سندخل مباشرة في بعض الأطروحات المراوغة، التي تقول إحداها مثلاً إننا أمة متخلفة ومهزومة (وهذا صحيح) وأن المواجهة ليست حلاً (وهذا غير صحيح)، ومن ثم فعلينا إتباع الأسلوب الألماني أو الياباني في الإصلاح، أي ترك موضوع المواجهة والجهاد نهائيا والتفرغ للبناء والإنتاج في محاولة لسد الفجوة التكنولوجية ومن ثم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهذا طرح خاطئ لعدة أسباب، فالمعركة ضد الألمان واليابانيين لم تكن معركة حضارية ولا ثقافية بل عسكرية وسياسية، أما نحن فالمعركة ضدنا بالإضافة إلى كونها عسكرية وسياسية واقتصادية فإنها أيضًا حضارية وثقافية، نحن لسنا فقط إزاء مشروع استعماري اقتصادي وسياسي، بل إزاء مشروع حضاري

يستهدف القضاء على أمتنا، وهناك وجدان صليبي يحرك الأعداء ضدنا، والمواجهة مع الغرب الصليبي لم تنقطع قط في الزمان ولا المكان بدءا من حياة الرسول وحتى اليوم، مرورا بالمواجهة في الأندلس والمغرب العربي (حرب الألف عام كما يطلق عليها المؤرخون المغاربة – ومرورًا بحروب الفرنجة على المشرق العربي الإسلامي ١٠٩٥م – ١٢٩٥م وكذا مرورا بالمواجهات التي خاضتها الدولة العثمانية، ثم الاستعمار والصهيونية وحتى احتلال أفغانستان والعراق، فالمسألة هنا أننا أمام عدو لن يقبل بغير الاجتثاث لأمتنا، ولن يتركنا نبني ونعمر فهو لن يقبل لنا النهضة على الأساس الإسلامي أو حتى العلماني أو على أي أساس، ونحن أمة وسط ثقافيًا وجغرافيا ولسنا جزرا منعزلة، وبالتالي فالقياس الألماني والياباني قياس مخادع وخاطئ، بالإضافة إلى أن أمريكا والغرب كان لهم مصلحة في تقدم ألمانيا الغربية في إطار الصراع مع المنظومة الاشتراكية، وكذا في تقدم اليابان حتى لا ينفرد الاتحاد السوفيتي أو الصين بالتمدد في آسيا وموضوع القياس الياباني والألماني خطأ مبدأي بالنظر لظروف وطبيعة الصراع مع الغرب، وهو أكثر خطأ بعد

سقوط الاتحاد السوفيتي السابق والمنظومة الاشتراكية لأنه ليس هناك استقطاب يسمح بهامش من المناورة يمكن أن نفلت بها من موانع الغرب وعراقيله على نهضتنا وهكذا فإن القياس الألماني والياباني يحتم المواجهة والجهاد والمقاومة.

من الأطروحات الأخرى المراوغة، أننا أمة لا قيمة لها وأن الدخل القومي الأمريكي مثلا ١٣ تريليون دولار، أما الدخل العربي والإسلامي السنوي فهو قليل جدًا – العربي ٧١٧ مليون دولار، أي أصغر من رأسمال شركة مايكروسوفت مثلاً أو نوكيا للهواتف المحمولة أو دولة واحدة مثل إسبانيا، وهذا صحيح، ومن ثم فإن الغرب لا يضعنا في اعتباره وليس طامعًا فينا أو لا نشكل له أي نوع من التهديد، ولعل حجة هؤلاء هي نفسها تنسف منطقهم، فمادمنا بلا قيمة ولا نشكل خطرا فلماذا تم زرع إسرائيل، ولماذا تم احتلال أفغانستان ثم العراق؟.. هل لتدفق البترول مثلا؟.. وهذا البترول لهم طبعًا، ولكن تدفقه كان مضمونا بدون مخاطر هذا الاحتلال على الأمريكان وحلفائهم، بل إن أحد الزعماء العرب قال ذات يوم مستغربا، إنهم يأخذون البترول وحتى صدام حسين شخصيًا كان مستعدا لأن يضخ لهم البترول،

إذن فالمسألة لها بعدها الحضاري والثقافي والتاريخي بالإضافة إلى بعدها الاقتصادي والسياسي أما مسألة أننا لا نشكل خطرًا عليهم، فهذا كلام جزئي، نعم ربما لا تشكل خطرا حقيقيًا أو كبيرًا الآن ولكن هناك ما يسمي بالقوة الكامنة، والمنظومة الإسلامية الثقافية تمثل خطرًا شديدًا على المنظومة الغربية الرأسمالية لأنها تشكل البديل الأيديولوجي لكل مستضعفي العالم للثورة على الرأسمالية بعد فشل الماركسية ولاهوت التحرير المسيحي، وبديهي أن الماركسية ولاهوت التحرير المسيحي كان لابد أن يفشلا أمام الرأسمالية لأنه من الناحية العلمية والموضوعية فإن الماركسية ولاهوت التحرير المسيحي قد خرجا من نفس الأرضية الحضارية التي أفرزت الرأسمالية ومن الطبيعي أن هذا سبب جوهري وبنيوي للفشل، أما الإسلام فهو منظومة ثقافية مختلفة:

أولاً :ليست نابعة من المنظومة الحضارية الغربية وهي ذات تراث ونصوص منحازة للفقراء..

ثانيًا: وبالتالي قادرة على تقديم التبرير النظري للثورة على الرأسمالية، وهي ذات خطاب عالمي

ثالثـــًا: وبالتالي فهي يمكن أن تصلح كأيديولوجية أو جذر ثقافي للبشر المستضعفين والمتضررين من الرأسمالية (وهم أكثرية العالم) سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ثم إن الخطاب الإسلامي خطاب غير عنصري، أضف إلى ذلك أن الرقعة الجغرافية المتوسطة وذات الاتساع الكبير التي يشغلها العالم الإسلامي – وكثافته السكانية الكبيرة والواعدة، ثم ثقافة القتال والجهاد، والاعتماد على مدد الله يمكن أن تشكل مصدرًا لا ينضب للمجاهدين والمناضلين، وهكذا فإن خوف الغرب وأمريكا من الإسلام والمسلمين له أسبابه القوية والخطيرة أيضًا، وحديث المفكرين والسياسيين الغربيين عن الخطر الأحقر ليس وهمًا ولا خداعًا، بل إدراك مبكر أو تقليدي لما يكون أن يمثله الإسلام والمسلمون إذا ما ساءت ثقافة المواجهة والمقاومة وثم استعادة فعل الجهاد الجميل.

لماذا نقول مشروع المقاومة، ولا نقول مثلا مشروع الإصلاح السياسي أو الاقتصادي أو التربية أو غيرها؟!.. ذلك كما قلنا لأننا أمة لن تنهض ولن تتقدم إلا بالجهاد، وذلك لأننا أمة مستهدفة، والسيف فوق رءوسنا، فهل نخدع أنفسنا مثلا؟.. وقد بان الأمر الآن، فأمريكا وبريطانيا والحلفاء

جاءوا بجيوشهم والانطباق الكامل بين إسرائيل وأمريكا أصبح واضحا للعيان لا تخطئه عين وخاصة بعد ما يسمي (بوعد بوش) الصادر مع شارون في مؤتمر صحفي ٢٠٠٣/٤/١٤، وهو مفهوم من قبل ولكن ذلك لمن يريد حجة دامغة بدون جهد!!..

وكذلك لأن الله تعالى وضع لنا الحل الصحيح في القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين* فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسي الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) (المائدة: ٥١-٥٢).

وهذه الآيات تنطبق على حالتنا الراهنة تماما، حيث أنه لم يحدث تحالف – فضلا عن موالاة – بين اليهود والنصارى إلا في السنوات الأخيرة، بل كان العداء بين الطرفين هو سيد الموقف دائما لدرجة ظهور ما يسمي بالمسألة اليهودية أو العداء للسامية في الفكر الغربي واليهودي على حد سواء، المهم أن هناك الآن موالاة –

والموالاة أعلى من التحالف بين الغرب وإسرائيل وهناك احتلال أمريكي لمناطق وبلاد عربية وإسلامية ومنطق الذين لا يريدون المقاومة ولا القتال ولا الجهاد ولا الاستشهاد يسارعون بينهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي نخاف منهم لأنهم أقوى منا بمراحل – نعم هذا صحيح – ولكن لنا أدواتنا ووسائلنا لخوض المواجهة، بالمقاومة الشعبية التي أثبتت نجاحها في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان، وبسلاح الاستشهاد الذي لم يجدوا له علاجا، ولن يجدوا إن شاء الله – حتى الآن – وحتى بصرف النظر عن النتائج فإن الله تعالى طلب منا ذلك وفضح منطق المسارعين فيهم، وبشرنا بأن الفتح أو أمر من عنده سوف يأتينا، ونحن بالتالي نطرح المقاومة ومشروع المقاومة والمواجهة كحل صحيح وكفريضة شرعية، وكتوجيه قرآني، وكذلك من الناحية العلمية والموضوعية فهو سلاح وطريقة وأسلوب أثبت نجاحه، فالمقاومة العراقية أثبتت حتى الآن أنه رغم كل الظروف الصعبة وغير المواتية نجحت في تعطيل المشروع الأمريكي، وفي سبيلها لانهائية إن شاء الله، نفس الأمر بالنسبة لمشروع المقاومة في فلسطين الذي جاء أيضًا في

ظروف غير مواتية، ومع ذلك هز الوجود الإسرائيلي هزا، والفت بظلال من الشك حول المشروع الصهيوني ذاته كما اعترف بذلك قاده العدو وكبار مفكريه والأمر ذاته بالنسبة للمقاومة في لبنان.

مشروع المقاومة إذن أثبت أنه يمتلك مقومات النجاح وإذا أدركنا أننا في حالة هزيمة تكنولوجية وأنه من المستحيل عمليًا مواجهة آلة الحرب العسكرية والسياسية والاقتصادية الأمريكية والصهيونية بالجيوش أو الدول أو المؤسسات الرسمية"وكل التجارب دلت على ذلك" فإن التجارب ذاتها دلت على أن المقاومة الشعبية استطاعت أن تبرز وتأخذ مكانها، وهي سوف تحقق أولا نوع من التصدي والصمود يمنع وصول المنحني الحضاري الإسلامي إلى نقطة السقوط النهائية، والمقاومة سوف تزيد وعي الشعوب بالتحديات التي تحيط بها، وتوقظ هذه الشعوب وتعالج الأجزاء المريضة في الجسد العربي والإسلامي، وبالتالي يزداد هذا الجسد حيوية، ولاشك أن ذلك سوف يزيد قدرة هذه الشعوب على انتزاع حقوقها السياسية، ومن هنا فإن مشروع المقاومة هو المقدمة الأولى والصحيحة والجوهرية للإصلاح السياسي، وعلى

نفس النمط هو المقدمة الأولى والصحيحة للتقدم الاقتصادي وإشاعة روح الوحدة والتكافل والحيوية والإيجابية، بل سوف تفجر طاقة الابتكار العلمي والتكنولوجي أيضًا، وهكذا فإن مشروع المقاومة وإشاعة ثقافة المقاومة هو الأسلوب الصحيح شرعيا وواقعيا، وفي أسوأ الحالات فإن التخلي عن الجهاد والمقاومة يعني الإبادة والقتل والتدمير والنهاية الحضارية وتحولنا إلى عبيد أو قتل الجزء الأكبر منا وتحويل الباقي إلى عبيد أما المقاومة فهي إما نصر وإما شهادة، وحتى لو كانت النتيجة هي الهزيمة فإن خسائر الهزيمة لن تكون أسوأ من حالة الانبطاح، وعلى الأقل هناك الكرامة، وهناك التجربة التي يمكن تكرارها مع الأجيال القادمة، أي المحافظة على الجذوة مشتعلة تحت الرماد.

ولن تكون مغرقين في الوهم أو التفاؤل حين نقول أن مشروع المقاومة لن يحقق فقط العزة والكرامة لنا، بل سيكون بداية لتحرير العالم كله من الهيمنة والظلم الأمريكي الصهيوني، وهذا سوف يرفع قيمة أطروحتنا الثقافية عالميـــًا، بل يمكن أن يتحول الإسلام إلى أيديولوجية لكل المستضعفين والمناهضين للرأسمالية والعولمة، وحتى بمنطق

الدعوة المباشر فإن المواجهة والمقاومة ستكون طريقـاً صحيحًا لدخول الناس في دين الله أفواجًا.